

# وحي الأربعين

عباس محمود العقاد





# وحي الأربعين

تأليف

عباس محمود العقاد



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٦٧٦ ٩

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٣.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

# المحتويات

٧	مقدمة
١١	تأملات في الحياة
٢٥	خواطر في شئون الناس
٣٣	قصص وأماثل
٤٥	وصف وتصوير
٥١	غزل ومناجاة
٦٩	قوميات واجتماعيات
٧٥	فكاهة
٨١	متفرقات



## مقدمة

### الشعر العصري

تناول بعضهم ديواناً من الشعر، فقال: هذا شعر عصري! هذا ديوان خلا من باب المدح وباب الهجاء، فهو شعر جديد وليس بشعر قديم.

ذلك مثل من أمثلة التقليد في إنكار التقليد، فالشعر لا يكون عصرياً مبتكراً لأنه خلا من المدح ولا يكون قديماً محكياً لأنه يشمل عليه، وإنما يخرج «المدح» من الشعر لأنه كلام يضطر الناظم إليه اضطراراً ولا يعبر فيه عن عقيدة صادقة أو عاطفة صحيحة، ولولا الحاجة إلى نوال الممدوح لما نظمه ولا أجاله في خاطره، فمن هنا كان المدح كلاماً لا شعر فيه ولا دلالة على شعور، أما المادح الذي يقول ما يعتقد أو يحس أو يتمثل أو يتخيل فلا فرق بينه وبين شاعر الوصف والغزل والحماسة من حيث القدرة الشاعرة، ولا سيما إذا هو أثنى بما يوجب الثناء في رأيه وضميره.

ولنضرب لذلك مثلاً من التصوير بالريشة، وهو كالشعر، أحد الفنون الجميلة التي يقع فيها الابتكار والتقليد، فلا نعرف ناقدًا يزعم أن المصور الذي يرسم رجلاً من أجل ثمن مقدور لا يُعدُّ من المصورين «العصريين»؛ إذ كل ما يُطلب منه هنا أن يجيد نقل الشبه والدلالة على الملامح والأطوار النفسية، فإن أجاد في عمله هذا فهو مصور كأحسن المصورين، وإن لم يجد فليس بمصور وإن كان يرسم الأشخاص متبرعاً غير مأجور، أو كان يشغل نفسه بمناظر الطبيعة وما شابهها من الموضوعات التي تقابل الوصف والغزل في القصائد. وكذلك المدح في دلالتة، على الشاعرية أو في انتظامه بين أبواب الشعر الصحيحة، فإنما يُعاب ببيع الثناء من وجهة الخلق والعرف لا من وجهة الفن والتعبير،

أما الذين «يقلدون» في إنكار القديم فقد اختلط عليهم الأمر؛ فحسبوا المدح منفياً من عالم الشعر لذاته لا لما قدمناه.

وقرأ بعضهم قصيدة في وصف الصحراء والإبل، فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدّها باباً من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون!

ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد في إنكار التقليد؛ لأن وصف الصحراء والإبل إنما يُحسب تقليدياً لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجارة للأقدمين واقتياساً على الدواوين، أما الرجل الذي يعيش في الصحراء أو على مقربة منها، ويركب الإبل وتجيئ نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم في هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جرياً على رأي الآخرين.

إذ هذا هو التقليد بعينه في التصور واختيار الموضوعات، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأي الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل.

فهناك إذن «مقلدون» في كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون، وربما كان هؤلاء أضرباً بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم.

إن من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لئلا يرد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود، فالشاعر لا ينبغي أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب، وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق»، وكل ما دخل في هذا الباب — باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق — فهو شعر وإن كان مديحاً أو هجاءً أو وصفاً للإبل والأطلال، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث.

كذلك يبلغ من ضيق الوعي وركود النفس ببعض النقاد أن يحصروا كل باب من أبواب الشعر في نمط لا يعدوه ولا هم يتخيلون غيره، فيقولون مثلاً: إن الغزل لن يكون إلا هكذا وإلا فليس هو بغزل، وإن الوصف لا بد أن يجري هذا المجرى وإلا فليس هو بوصف، ويحسبون أن النفوس لا تحس إلا على وتيرة واحدة ولا تعبر إلا على أسلوب واحد، فإذا سمعوا غزلاً فینبغی عندهم أن يكون على مثال الأغاني التي يسمعونها العامة في المراقص والأندية، أو على مثال يشبهه وينحو نحوه! وقس على هذا مذهبهم في سائر الأبواب: من أحب البحترى فليكن الوصف عنده بحترياً، ولا وصف على الإطلاق! ومن ألف حكمة المتنبى فلينظم الناس له أبياتاً على طرازها أو لا ينظموا على أي طراز! ومن عرف



أن «الاجتماعيات» مجال محمود في بعض الدواوين فحرام على الدواوين كلها أن تتسع لغير الاجتماعيات! ومن ظن أن الملاحم الكبيرة أثرت على كبار الشعراء، فالشاعر الذي لا ملحمة له ليس بشاعر كبير!

لقد سميت إحدى قصائد هذا الديوان «بالغزل الفلسفي» تحدياً لهذا الضيق السقيم والحجر العقيم، فقد أضحكني بعضهم حين سألني متباصراً: وهل الغزل الفلسفي مما يصلح لاستهواء الحبيب؟ فقلت له: ومن الذي زعم أننا لا نتغزل إلا لاستهواء الأحياء؟ إنك حين تناجي القمر لا تعني أن تستهويه أو تخاطبه بما هو أدنى إلى إدراكه، وإنك حين تحكي شعورك بالرياض والأزهار لا تفقه عنك الرياض والأزهار حرفاً مما تحكيه، ولكنك تناجي وتحكي وتتغزل لأنك تعبر عما في نفسك قبل كل شيء، فالغزل تعبير عما تشعر به حين ترى الوجه الجميل والخلق القويم، وإذا كانت بعض القرائح تستحضر جمال الحياة بأسرها وما تنطوي عليه من الأسرار حين تنظر إلى الوجوه الجميلة، فلماذا يحرم عليها أن تمثل هذا الشعور؟ وإذا كانت بعض الطبائع تقرن بين الجمال وما تستحقه الدنيا من التفاؤل والتشاؤم وما يغمرها من الخير أو الشر، فلماذا يُحال بينها وبين التعبير؟ لأن الجمال لا يقع في معظم النفوس إلا موقع الغناء في المراقص يحتم على الشعراء أن يغرقوا في المراقص طوال الحياة؟

إن ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روع الأعمار هذه الأوهام عن الشعر وأبوابه ومراميه، بل ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روعهم أن الشعر جانب والجد جانب آخر وأن هذين الجانبين لا يلتقيان، فبين يدي كلمة للمغامر الإنجليزي لورنس يقول فيها: «إن رجال العمل عندنا ينطوون على جانب من الشعرية بقسطنطينية من صلاح وصلاح». وبين يدي كلمة مثلها للحاكم الإيطالي «موسليني» يقول فيها للمؤرخ أميل لدفع: «إن الرجل السياسي ينبغي له أولاً وأخيراً أن يكون صاحب خيال، فإن لم يكنه جف ولم يبلغ قط شيئاً يُكْتَب له الدوام، ولست أقول هذا عن رجل السياسة وحده لأنه ما من إنسان كائناً ما كان يصل إلى شيء يُذكر بغير الشعرية والخيال». وقد علمنا كيف أن «هريو» الوزير الفرنسي كان يشتغل بوضع كتابه عن هوغو بين شواغله الجسام التي قلما يظلمع بمثلها وزير، وأمثال هؤلاء كثيرون حيثما يتسع أفق العمل والشعور والإدراك.

فالنظر إلى الدنيا لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلا بخيال كبير يستوعب ما يراه ويقيس ما غاب على ما حضر، وما يمكن على ما أمكن، وما يتمخض عنه المستقبل على ما درج في ألفاف الزمان، وتلك ملكة لا غنى عنها لعامل ولا عالم ولا شاعر ولا قارئ ولا

متعلم، وما دام أناس منا يجهلون مدى اتساع الحياة فلا عجب أن يجهلوا مدى اتساع الشعر، ولا بدع أن يهبط في مراتب الوجود إلى أفق دون أفق المشرفين على رحبه الشاسع الفسيح.

لقد رأينا دواوين لبعض الشعراء يستغرق ما فيها فضاء محدود يُقاس بعشرات الأشبار، فأين بقية آفاق الوجود؟ أين غرائب الإحساس التي تختلف إلى غير نهاية في كل طور من أطوار النفوس؟! إنك لن تستطيع أن تفرضها فرضًا إذا أنت قنعت من الدنيا بما تمثله لنا أشعار الناظرين المحدودين، فلنفهم شأن الخيال في توسيع الدنيا والسيطرة عليها نفهم شأن الشعر الصحيح، ولنفهم شأن الشعر الصحيح نحطم تلك السدود التي يحبسنا فيها أصحاب التعريفات من الجامدين أو المقلدين في كراهة التقليد، ولنذكر أبدًا أن «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» عالم لا ينحصر في قالب ولا يتقيد بمثال.

عباس محمود العقاد

# تأملات في الحياة

## الخلاصة الأولى والأخيرة

هـ جمالاً وفتنة وضياءً  
كره الأرض حوله والسماء  
جانب ترتضيه إلا أساء

صح جسمًا فشافت الأرض عيني  
صح نفسًا فشاهت الناس حتى  
عجبًا للحياة ما سر فيها

## الهداية

ضلت سواء السبيل  
هديًا بغير دليل؟

كم في السماء نجوم  
وأنت في الأرض تبغي

## سحر الدنيا

سوف يبقى، ويذهب الكهانُ  
ت وفيها الشמוש والأغصانُ؟  
ت وفيها الثغور والأجفانُ؟  
ت وفيها الألحان والألوانُ؟  
ر، وفي كل حقبة ترجمانُ  
م عليها الإنشاد والتبيانُ

سحر دنياك يا أُخَيَّ قديم  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
كاهن الأولين أول مسحو  
سحر دنياك دائم حيثما دا

سحر دنياك دائم حيثما دا مت عليها الحياة والإنسانُ

### مسودات الحياة

تأمل ترى الأحياء عَجْمًا كأنها  
ويا رب سر في كلام «مسود»  
أراها كإخوان تفاوت حظهم  
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه  
ومن يلقيهم يلق الحياة كأنها  
«مسودة» للخلق لما تُنقح  
يعود فيخفى في الكلام المصحح  
وميراثهم من سابقين ورزح  
إلى خاسر رفيديهما أو مطرح  
حبت طفلة من مهدها المترجح

### جلال الموت

أرى في جلال الموت إن كان صادقًا  
فلا تجعلنَّ الموت حجة كاذب  
جلالة حق لا جلالة باطل  
لمدحة مذموم ورفعة سافل

### المعروف والمنكر

كل ما تصنع الحياة يُرَجَى  
فإذا أنكروا قبيحًا ففي القبر  
ذاك لب اللباب في كل رأي  
من بنيتها قبوله واغتفاره  
ح من الموت لونه أو شعاره  
شطُّ بالفكر أو تدانى مزاره

### رأي واحد في وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قردًا  
وأناس يزعمون الـ  
هو رأي واحد نقـ  
قد ترقى وتَحَلَّى  
قرد إنسانًا تدلَّى  
لبيه علواً وسفلا!



## فلسفة حياة

مسائل الفلسفة الكبرى هي:

- (١) مسألة الإله.
- (٢) مسألة الحياة بعد الموت.
- (٣) مسألة السعادة في الدنيا.
- (٤) مسألة الخير والشر والحلال والحرام.

والقصيدة التالية تنتهي بالقارئ في كل مسألة من هذه المسائل إلى رأي نوجزه هنا ولا نعرض لأسبابه وبراهينه؛ لأنها مما يضيق عنه المقام.

فأما في مسألة الإله، فخلاصة القول أن الإله الموجود في كل مكان كفيلاً أن يصل إليك إذا أنت لم تصل إليه، وأن يعرف حقيقتك إذا عجزت أنت عن عرفان حقيقته، وفي هذا عزاء لمن رام العزاء.

وأما في مسألة الحياة بعد الموت، فخلاصة القول أن خيال الإنسان لن يحيط وصف تلك الحياة، أو لن يصل في شأنها إلى وصف يستقر عليه، فهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى كهذه الحياة الدنيا؛ لأنه يطمح أبداً إلى كمال بعد نقص وغبطة بعد ألم، وهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى مبدلة مستحيلة؛ لأنه متى تغير شعوره وتبدلت مداركه ومقاييس نظره أصبح مخلوقاً آخر، وأصبح النعيم الذي يرحوه كأنما هو نعيم مكتوب لإنسان سواه ... فهو يحب أن يغير حياته ولا يحب أن يغيرها في وقت واحد! ... والخروج من هذه الحيرة لن يكون إلا على حالة فوق ما يعقل وفوق ما يتخيل.

وأما مسألة السعادة، فالرأي في القصيدة أن ترك الدنيا كما يتركها عباد الهند خطأ، وأن التهاك عليها كما يتهاك عباد الحضارة خطأ كذلك، وأياً كان الحرمان الذي يُمنى به الإنسان فيشقيه، ففي الدنيا ولا ريب نعم جزيلة لم يُحرّمها قط إنسان يحبها ويشتاقتها، وتلك هي محاسن الطبيعة والإعجاب بالجمال حيث كان.

وأما مسألة الخير والشر والحلال والحرام، فالرأي في القصيدة أنه لا حرام في الجمال ولا حلال في القبح، فالفعل القبيح هو الفعل الحرام، ومن تجنب أن يشوّه جميلاً أو ينقص كاملاً فهو في حل من أن يصنع ما يشاء:

هاتِ لي الحُسْنَ الذي ليس يضيعُ	الغرام الملك، والملك الضياعُ
أو قصيداً راق، أو زهر ربيعُ	ليلة قمرء، أو سحر سماعُ
قلت: حَيْرُ! بالذي نُشْري نبيعُ	قال قوم زينة الدنيا خداعُ

\* \* \*

أنا أنعاهها ولكن لا أصومُ!	زاهد الهند نعى الدنيا وصامُ
أنا أرهاها، ولكن لا أهيمُ	طامع الغرب رعى الدنيا وهامُ
وليلُ من كل حزب من يلومُ	بين هذين لنا حدُّ قوامُ

\* \* \*

## تأملات في الحياة

أيها السائل: ما بعد الممات؟  
ما وراء القبر في قول الثقات  
يَمُّ الصحراء وانظر قفرها  
حالة محمد يومًا سرها  
لا ولا ترضى حياةً غيرها  
لست بالراضي حياةً كالحياة

\* \* \*

يعبد الأتوام ما يخشونه  
ليس ينسى الله من ينسونه  
وأنا أعبد ما لست أخاف  
فعلام البحث فيه والخلاف؟!  
لم يقف دون مقامٍ أو مطافٍ  
إن وصلتُم أو وقفتُم دونهُ

\* \* \*

شرعك الحسن فما لا يحسنُ  
ليس في الحق أثامٌ بيِّنُ  
فهو لا يحلو، وإن حلَّ الحرامُ  
غير مسخِّ الحُسن أو نقص التمامِ  
ما عدا هذين مما يمكنُ  
فاستبحه، وعلى الدنيا السلامُ

## الحضان

قسِّم حياتك بين حُسنٍ بارع  
ما في سوى الحظيِّين من أمنيَّة  
يُذكي الحياة، وحكمة تُنميها  
للمرءِ يَنشدها ويستبقيها

## إنذار الغضب إلى الحق المحتجب

يا حقُّ لا تبرحُ خباءكُ  
فيمَ الإباء؟ ولم نكن  
أتعبتنا سعيًا وراءكُ  
فالزم مكانك في الثرى  
يا حقُّ إلا أصدقاءكُ  
ما الروضة الغناء ذا  
إن شئت، أو فالزم سماءكُ  
والناس لا يجفوننا  
بله إذا حُرمت ضيائكُ  
والحسن عند المبطلين  
يومًا، إذا علموا جفاءكُ  
ما فاز من يرجو رجاء  
ن، وعند من يهوى عداكُ  
لك في الحياة ولا نساءكُ

## وحي الأربعين

أنا إن سلوتك لم أكد  
يا حقُّ هذا حدُّنا  
إن جئتنا طوعًا فجئ  
أشتاق ما يغني غناءك  
فاختر ظهورك أو خفاءك  
أو لا فلا تبرح خباءك!

## رعونة الحياة

فيم اقتحامُ جنين واهن عطل  
هي الرعونة في طبع الحياة توت  
أرضاً أبوه بها حيرانٌ مهمومٌ  
وإنما حكمةُ الأقوامِ تعليمٌ

## حكمة جهل الأطفال!

تجمّع في إهاب الطف  
ليطرق بابها طوعًا  
أيترك بطنَ والدةٍ  
لأمر ما دخلناها  
ل كلُّ غرارة الدنيا  
ويدرج فوقها حيًا  
لو أن لمثله رأيا  
ولا عزمًا ولا وعيا

## كلنا شجعان

ما شجاعٌ وجبانٌ؟  
كل مولود تراه  
أولم يطرق جنينًا  
جاءه فردًا ولم ير  
نحن شجعان جميعًا!  
داهم الحصن المنيعًا  
عسكر الكون الوسيعًا؟  
جع كما جاء سريعًا



## حكمة التوائم

حكيم ذلك التوأم      ومن آبائه أحزم  
تهيب أرضهم فردًا      فجاء بصاحب ملزم!  
ولو جاء بجيش كا      ن في تدبيره أحكم!

## حب الدنيا، معجزة خارقة

هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية هي التي تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحببتها؟  
أو هي دميمة والقدرة الإلهية هي التي تحببها إلينا وترغبنا فيها؟  
الجواب في القصيدة التالية أنه لا قدرة — دون قدرة المعجزات والخوارق —  
تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس، على ما بها من الآفات والأرجاس!

قالوا الدنيا الحسناء سها      عنها ربُّ لا يقبلُها  
بل قالوا: يحجبها عنَّا،      أو ينهاها، أو يعقلُها  
ونرى الشيطانَ يزيئُها      ونرى الشيطانَ يدلُّها  
يا قوم ألا عينٌ نظرتُ      هذي الشهواء تمثُّها؟  
ما يقدر إلا رب الكو      ن يحببها ويجمِّلُها  
لولاه قتلنا أنفسنا      أو لم نعذل من يقتلُها  
أفهذي دنيا نعشقها      لولا رضوان يكفلُها؟  
من شكَّ فهذي قدرتهُ      فليعرفها من جهلُها!

## الحياة والتفكير

ما لي أفكّر في الحياة ولا أرى      شيئاً يقرُّ بها على التفكير؟!  
إنِّي مضيت بها انقطعُ كأنني      شجر على الدنيا بغير جذور

## خذ من الحياة

الموت طرّاق على الـ الموت أَخْأَذ فَخْذُ  
أبواب، عافٍ<sup>١</sup> كالعفاة ما تستطيع من الحياة

## أم شحيحة

لكل شيء ثمنٌ قد زعموا من الألم  
يا شحّ دنيا لم تجدُ إلا تولّاهما الندم  
لا تُرضع الأبناء إلا بدواةٍ وقلَم  
وبالربا مُضاعفاً غولط في كلِّ رقم!

## على بحر الحياة

أمن نظرة الآباد والمثّل الأعلى إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى؟  
لقد كانت الأجيال عندي قريبةً فقد عادت الساعات توسعني ثقلاً  
نظرتُ إلى عليا الحياة أرودها فألفيتها صفرًا، ولم أحمد السفلى  
فأليتُ أفضيها كمن راح طافياً على اليمّ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلاً  
فإن شئت قل هذا غريقٌ وإن تشأ فقل سايحٌ لم يدرَ أقبل أم ولى

## نقمة في نعمة

نعمة الإحساس ما برحتُ نعمة في طيها نقمُ  
لا يُحسُّ الفقدَ فاقدُها ونصيب الواجد الألم

<sup>١</sup> العافي طالب الفضل أو الرزق.

## بنية قوية

تعاقبَ السُّوسَ والجرادَ وما  
فلا تخَفُ أفَةً ولا غَيْرًا  
دُنْيَاكَ هذِي قَوِيَّةٌ صَمَدَتْ  
بادَ ربيعٌ ولا انطوى شجرٌ  
يُمْنِي بها في الضمائرِ البَشْرُ  
لكلِّ شرٍّ جرى به القدرُ

## ما فوق الحياة

يا طالبًا فوق الحياةِ مدَى له  
ما في خيالك صورة تشاقها  
ولو استويت على الخلودِ وجدتها  
يعلو عليها هل بلغت مداها؟  
إلا وحولك لو نظرت تراها  
كفؤًا لعينك لا تروم سواها

## سر أبي الهول

أكرهُونا على هواك وقالوا  
إن يكنْ فيكَ يا أبا الهولِ سرٌّ  
من دعانا إلى هواك؟ أجبني  
أنتَ يا عالم الشقاءِ حبيبُ  
فهو هذا الهوى الخفيُّ العجيبُ  
نحنُ أم أنتَ أم سميعٌ مُجيبُ؟

## زَميلان في البيت، عدوان في الطريق

لا حينَ كانوا مؤمنين تقيّدوا  
الطبع والإيمان إن سكنا معًا  
بهُدَى، ولا حين استرابوا في الهدى  
ركبا الطريق هنيهة فتفرّدَا

على الشاطئ

وَرَدُّوا الْبَحْرَ فَأَهْلًا      بِهِمْ - يَا بَحْرُ - أَهْلًا  
أَنْتَ لَا تَحْفَلُ مِنْهُمْ      مَنْ وَلَّى أَوْ مَنْ تَوَلَّى

\* \* \*

نَزَلُوا شَطَّكَ غَيْدًا      وَشِبَابًا وَمَشِيبًا  
طَلَبُوا فِي الْمَاءِ بَرْدًا      فَذَكَ الْمَاءُ لَهَيْبًا

\* \* \*

وَرَدُّوا الْبَحْرَ عَطَاشًا      رَشَفُوهُ غَرْفُوهُ!  
لَوْ يَكُونُ الْبَحْرُ بَحْرًا      مِنْ سُرُورٍ نَزْفُوهُ  
الْمَسَاكِينُ يَرِيدُو      نَ مَنْ الدُّنْيَا اتَّسَاعَا  
أَخْدَعُوهَا، فَهِيَ لَا تُو      سِعُكُمْ إِلَّا خِدَاعَا

\* \* \*

وَإِذَا لَاحَتْ بِوَجْهِهِ      يَمَلَأُ الْأَبْصَارَ رُعبَا  
فَاضْحَكُوا مِنْهَا وَقَوْلُوا      مَا أُحْيَلِي! مَا أَحْبَا!

\* \* \*

وَإِذَا مَدَّتْ إِلَيْكُمْ      بِيَدٍ فِيهَا الْحَمَامُ  
فَخُذُوا الْمَوْتَ وَقَوْلُوا      هُوَ خُلْدٌ وَسَلَامُ!

نصف رغيف

عجبي للحياة أَشْرَفُ ما تُخْ      وَيهِ وَقَفُ على الحَقِيرِ الطْفِيفِ  
صَفْحَاتُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ طُرًّا      والمعاني من تَالِدٍ وَطْرِيفِ  
والوجوهُ التي تَشُوقُكَ حُسْنًا      تنطوي إنْ فَقَدْتَ نَصْفَ رَغِيفِ

## لا ضيف في الخان

إيه يا دنيا! لو اسطعتِ سماعي  
أكرميننا حيثما تدعيننا!  
قالت الدنيا: ولم أكرمكم؟!  
حبذا الخان! فلا ضيف هنا  
قد نزلنا منك في غير اتساع  
أو دعيننا من لقاء ووداع  
كلنا في الحق مدعو ووداع  
إنما تجزى متاعاً بمتاع

## في جانب الهرم

دعا به هاتف من جانب الهرم  
تمل ما شئت من سُخْفٍ ومن عِظَم!  
ما خلد الدهر شيئاً قط نعلمه  
بين الظلامين من ليل ومن قديم  
هنا التقي السُخْفُ في التاريخ بالعِظَم  
إلا وفيه من الأنوار والظلم

## طفل على البحر

عدا على البحر جذلاً فقلت له:  
فقال في لثغة الطفل البريء وفي  
يا حبذا البحر في عمق وفي سعة  
كذلك الناس في بحر الحياة لهم  
لا تلق بالاً إلى ما ينطقون به  
هل قصر البحر أو أربى على الأمل  
صراحة الطفل قولاً بين الخطل  
لو كان من سُكَّرٍ أو كان من عسل!  
سُخْفٌ من القول في صدق من العمل  
وانظر إلى ما تولاهم من الجدل<sup>٢</sup>

<sup>٢</sup> إن جدل الطفل على شاطئ البحر لم يمنعه أن يتمنى فيه الأماني لتغييره، فانظر إلى جذله ولا تنظر إلى أمانيه، وكذلك الناس على بحر الحياة حين يستمتعون بجذلهما ويكثرون من التمني لما ليس يكون والأسف على ما كان.

## ذات وجوه

وَجُوه حَيَاتِنَا مَتَعَدَدَاتُ  
وَدَعُ عَنكَ الْبَرَاقِعَ وَالطَّلَاءُ  
فَإِنْ تَحَمَّدَ وَسَامَتَهَا صَبَاحًا  
فَقَدْ تَنَعَى دَمَامَتَهَا مَسَاءً

## قبرة شلي

للشاعر الإنجليزي «شلي» قصيدة ساحرة يناجي بها القبرة الشادية، وللشاعر الإنجليزي «توماس هاردي» قصيدة حزينة يود فيها أن يستنقذ من ركام الأرض أشلاء تلك القبرة الهزيلة التي هاجت خيال «شلي» الفياض.

وقد نظمتُ الأبيات التالية عقب تلاوة هذه القصيدة الأخيرة:

فِيمَ افْتِقَادِكَ جِسْمَ قُبْرَةٍ تَوَى  
الآنَّ صوت الشعر خلد صَوْتَهَا  
حُدَّ مَا بَدَا لَكَ مِنْ تَرَى الدُّنْيَا تُصَبُّ  
في الأرض بين رمائمْ وحفائِرٍ؟  
تَبْغِي الخُلُودَ لَجْسِمِهَا المَتَطَايِرِ!؟  
فيه رُفَاتًا هَاجَ مُهْجَةَ شَاعِرِ

## ضلال الخلود

كان في الأرض قبل عشرين ألفاً  
كان، لا شك فيه عندي ولا ميْدُ  
نظم الشعْرَ في الحسان وحيِّي  
ليت لي من قصيدة بيت شعرٍ  
ليت لي من قصيدة فرد بيت  
أشتري بيته بديوان شعبيـ  
ضلة للخلود نأسى عليه،  
من سني الأرض، شاعرٌ عبقرِيٌّ  
نُ، وإن شك جاحد وغبِيٌّ  
قَبْلَةَ الشَّمْسِ وهو داعٍ شَجِيٌّ  
في ثنايا البلاد يرويهِ حيٌّ  
صح أم لم يصح من الرويِ  
ن فأين المساومُ الصيرفيُّ  
أخذ الخالدين فيها دعي!

## النور

إذا كان النور مما يُحَسُّ بالعين فليس يلزم من ذلك أن العين هي الوسيلة الفريدة بيننا وبين النور؛ إذ نحن نحسه بأرواحنا وبكل ملكة روحانية فينا، فنشعر أنه والحياة من معدن واحد في عنصرها المحسوس وعنصرها المجرد على السواء ... وإلى أين ينتهي بنا تحليل النور على أيدي علماء الطبيعة فضلاً عن الفلاسفة والمتصوفة؟ ينتهي بنا إلى أنه «معنى» يشبه المعاني المجردة في الكنه والقياس، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب، وهذا شعور شعرنا به من قديم في الدواوين الأولى قبل أن يصل العلماء إلى تحليل النور على النمط الحديث، وقد عدنا إليه في هذه الأبيات:

النُّورُ سِرُّ النِّجَاةِ	النُّورُ سِرُّ الحَيَاةِ
النور وحي الصلاة	النور وَحْيُ النُّهْيِ
النور شوقُ الفتاة	النور شوقُ الفتى
لمح العيونِ الخواة	المحُّ بالرُّوحِ لا
معناه إلا أداة	ما تبصر العين من
لا ما افتراه الهداة	هذا سبيل الهدى

## الشمس

وإلا فما بالُ النفوسِ بها تسمو؟!	أرى الشمسَ روحانيةً في جمالِها
سعادةٌ رُوحٍ ليس يعرفها الجِسمُ	إذا فاض منها النورُ هزَّتْ قلوبنا
كما قد يعاف اللحم والسمع والشمُّ	ولو أنها من لذة الحس عفتها
بقلبي من شمسِ النهارِ هوَى جَمُّ	كرهتُ من الدهرِ الكثيرَ ولم يزل
غريب عرا، لم يُدرَ وَصْفُ له واسمُ	تُرى كلَّ يومٍ وهي عندي كأنَّها
وتُشرقُ فيها، كيف يطرقُها الغمُّ!	عجبتُ لأرضٍ تخطر الشمسُ فوقها

## إلى غاندي حين أعلن الصيام

أتيت إلى الدنيا العريضة عارياً  
تركت لهم حتى الطعام فقل لنا  
إذا البؤس والحرمان كانا شفاعَةً  
إذا كان ما ندعوه بؤسى غنيمةً  
وتقضي بها جوعاً، وما عزَّ مأكلاً!  
على أي شيء بعد موتك تقبلُ؟!  
لعالمك الأعلى، فما هو أفضلُ  
لمن يطلب النُّعمى فبئس المعولُ

## الوجه الفيلسوف

أرى لك أنتَ فلسفةً صُراحاً  
أدُّم العَيْشَ في أَلْفِي كتابٍ  
إذا ما الفيلسوف أطالَ سخطي  
غُنيتَ عن الأدلة والأحاجي  
بلمح العين أقرأها جميعاً  
وتعرض لي فأمدحه سريعاً  
على لؤم الحياة فكن شفيحاً  
ومن حاجاك<sup>٢</sup> لم يكُ مستطيعاً

<sup>٢</sup> حاجاه: غالبه في الحجى أي العقل، أو ألقى عليه الأحاجي والألغاز.



## خواطر في شئون الناس

### القدر يشكو

صغيرٌ يطلب الكبرا  
وخالٍ يشتهي عملاً  
وربُّ المالِ في تعبٍ،  
ويشقى المرءُ منهزماً  
ولا يرضى بلا عقب  
ويبغي المجد في لهف  
ويخمد إن سلا، فإذا  
فهل حاروا مع الأقدار  
شكاة ما لهم حكم  
وشيوخٌ ودَّ لو صغرا  
وذو عملٍ به ضجرا  
وفي تعبٍ من افتقرا  
ولا يرتاح منتصرا  
فإن يعقب، فلا وزرا<sup>١</sup>  
فإن يظفر به فترا  
توله قلبه زفرا  
ر أو هم حيروا القدرا!  
سوى الخصمين، إن حضرا

### الحمد المعكوس

يا ربَّ حَمِدٍ لم ينله الذي  
وربَّ هجوٍ طافَ بي لم يَكُنْ  
قد ناله إلا لهجوي أنا  
يطوفُ بي لو لم أكنُ مُحسِنا

<sup>١</sup> الوزر: الملجأ والمعتصم.

## عدل الموازين

إننا نريد إذا ما الظلمُ حاق بنا  
عدلُ الموازين ظُلمٌ حين تنصبُها  
ما فرقتُ كفةَ الميزانِ أو عدلتُ  
عدلَ الأناسيِّ لا عدلَ الموازينِ  
على المساواةِ بين الحرِّ والدُّونِ  
بين الحليِّ وأحجارِ الطواحينِ

## الخبز والفقير

أحسب الخبزَ لو درى لتأبى  
إنما تُسلسُ الطلابُ جميعاً  
في يدِ الجائعِ الفقيرِ إليه  
لامرئٍ هانتِ الطلابُ عليه

## عادة مريحون

نعم العُداةُ تكفَّلوا بمدائحي  
وتكفَّلوا بالتُّأرِ منهم كُلماً  
حملوا المتاعبَ واسترحتُ فلم يزل  
لما استحقُّوا الذمَّ والتعذيرا  
ملأوا صدورهمُ لظى وسعيرا  
سعي العداة موفِّقا مشكورا

## عم صباحاً، عم مساء

عم صباحاً عم مساءً  
أقبلُ الصبحِ وولَّى  
وأخذنا ورددنا  
ولقينا أصدقاءً  
فشقينا بولاءٍ  
وعشقنا وتركنا  
من عشقناه ومن لم  
وعرفنا الحق أحيا  
ذهبَ العُمُرُ هباءً!  
ومضى اللَّيْلُ وجاءَ  
فحكى الأخذُ العطاءَ  
وفقدنا أصدقاءً  
وتملينا عداً!  
حبٌّ من سرِّ وساءَ  
نره قط سواءَ  
نأ فلم نعرف هناءَ

## خواطر في شئون الناس

وجهلنا الحق أحياء  
وقتلنا الجسم والرؤ  
ثم نمضي حيثما نم  
لم نزد في الأرض مملو  
عَمَّ صباحًا يا زمانِي!  
نأ فلم نجهل شقاء  
ح سقامًا وشفاء  
ضِي سراعًا أو بطاء  
ءًا ولم ننقص فضاء  
يا زمانِي عَمَّ مساء!

## شطور

دليل على أن الكمال محرّم  
فما المرء في جسمٍ وروحٍ بكامل  
ولكنَّ كُلَّ العالمين شُطُورُ  
إنَّ خَلِيقنَ بينها وذُكُورُ

## سوء الظن

من ساء بالناس ظنًا دون ما ألم  
أسى ظنونك لكن مكرها أبدًا  
أحق عندي بسوء الظن والتهم  
كمن يظن ببعض الآل والحرَم

## البرهان المحسوس

تعب الفلاسفة الكرام ليهدموا  
وأرى الدمامة في وجوه جناتها  
حُجَجَ الشُّرور ويدعموا البرهاننا  
عصفت بفلسفة الشُّرور عيانا

## الآمال

كانت الآمال تحملني  
إن أحلامًا تعللني  
فأراني اليوم أحملها  
غير أحلامٍ أعللها

## سِرُّ فِي طَرِيقِكَ

سِرُّ فِي طَرِيقِكَ بَيْنَ اللَّائِمِينَ وَلَا  
فَالنَّاسُ يَرْضَوْنَ عَمَّنْ لَيْسَ يَحْفَلُهُمْ  
تَحْفَلُ بَمَنْ جَدَّ فِي لَوْمٍ وَمَنْ لَعِبَا  
وَيَغْضِبُونَ عَلَى مَنْ يَحْفَلُ الْغَضْبَا

## اعرف ما ترميه، تعرف ما تجنيه

تَعْلَمُ كَيْفَ تَسْتَغْنِي  
فَمَنْ يَجْهَلُ مَا يُلْقَى  
إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَغْنَى  
فَقَدْ يَجْهَلُ مَا يُجْنَى

## إِنصاف الظالم

أَنْصَفْتَ مَظْلُومًا فَأَنْصَفْ ظَالِمًا  
مَنْ يَرْضُ عُدْوَانًا عَلَيْهِ يَضِيرُهُ  
فِي ذَلَّةِ الْمَظْلُومِ عُدْرُ الظَّالِمِ  
شَرٌّ مِنَ الْعَادِي عَلَيْهِ الْغَايِمِ

## عزاء

لَا الْيَأْسُ أَوْلَى يَأْسٍ  
فَإِنْ تَقَضَّى رَجَاءً  
أَوْ حَلَّ يَأْسٌ فَأَهْلًا  
شُقَّ الطَّرِيقُ قَدِيمًا  
وَلَا الرَّجَاءُ بِسِرْمَدُ  
فَإِنَّهُ يَتَجَدَّدُ  
إِنَّ الطَّرِيقَ مُمَهَّدُ  
فَالْعُودُ أَهْدَى وَأَحْمَدُ!

## الخلاصة

لَيْسَتْ خِلاصَةٌ كُلُّ شَيْءٍ غَنِيَّةٌ  
فَالشَّهْدُ وَهُوَ خِلاصَةُ الْأَزْهَارِ لَا  
عَنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ خِلاصَةُ مَاهِرٍ  
يُغْنِي الْعَيُونَ عَنِ الرَّبِيعِ الرَّاهِرِ

## تكاليف العظمة

كُنْ عَظِيمًا وَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا  
كُل رَاجٍ يَلْقِي عَلَيْكَ مُنَاهُ،  
تُنْصِفُ الْأُمَّةَ الضَّعِيفَ وَلَا تُنْصِفُ  
هَمَّةَ كَلْفَتِكَ هَمًّا جَسِيمًا  
فَإِذَا خَابَ كُنْتَ أَنْتَ الْمَلُومًا  
صِفْ يَوْمًا عَظِيمَهَا الْمَظْلُومًا

## رب عبوسة خير من بشاشة

إِذَا مَا تَبَيَّنَتْ الْعَبُوسَةَ فِي أَمْرٍ  
أَجَلُ سَلُهُ قَبْلَ اللُّومِ فِيمَ انْقِبَاضِهِ  
لَعَلَّ طَلَابَ الْخَيْرِ سَرُّ انْقِبَاضِهِ  
فَمَا تَحْمَدُ الْعَيْنَانَ كُلَّ بَشَاشَةٍ  
قَطُوبٌ كَرِيمٌ خَابَ فِي النَّاسِ سَعِيهِ  
فَلَا تَلْحَهُ، وَاسْأَلْ سَوَّالَ حَكِيمٍ  
وَفِيمَ رَمَى الدُّنْيَا بِطَرْفِ كَظِيمٍ  
وَعَلَّةَ حَزْنٍ فِي الْفَوَّادِ مَقِيمٍ  
وَلَا كُلَّ وَجْهِ عَابِسٍ بِذَمِيمٍ  
أَحَبُّ مِنَ الْبَشَرَى بِفَوْزِ لَثِيمٍ

## وصايا معكوسة

من عمل بها فلعليه وزرها.

ومن لم يعمل بها فأجره على الله!

إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِرَسُولِهِ: «أَذْهَبْ إِلَى السُّوقِ فَهَاتِ عَنَبًا حَامِضًا!» فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَطْلُبُ الْعَنَبَ الْحَامِضَ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَأْبَاهُ وَيُنْبِئُهُ إِلَى اجْتِنَابِهِ، وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْوَصَايَا إِنَّمَا هِيَ وَصَايَا أَسْفٍ وَتَحْذِيرٌ وَلَيْسَتْ بِوَصَايَا رِضَا وَتَرْغِيبٍ، وَالْقَصْدُ مِنْهَا أَنْ تَصِفَ مَا يَقَعُ أَحْيَانًا بَيْنَ النَّاسِ، وَتَنْكَرَ أَنْ يَشِيعَ:

## الضعة والشرف

وَالِ الْمَدْنُسُ بِالْعِيُوبِ وَلَا تَكُنْ  
فَذُووِ الْمَعَائِبِ لَا تَتَاخَرُ بَيْنَهُمْ  
وَذُووِ الْمَعَائِبِ آمَنُونَ لِمَنْ وَفَى  
يَوْمًا وَلِيًّا لِلنَّبِيلِ الطَّاهِرِ  
وَالنَّبِيلِ فِيهِ سَبِيلُ كُلِّ تَنَاخِرِ  
وَالنَّبِيلِ لَيْسَ بِأَمْنٍ لِلْغَادِرِ

وذوو المعائب ما لهم من حاصر  
وذوو المعائب يسترون خلالهم  
وذوو المعائب عذرهم في نقصهم  
وذوو المعائب ينعمون بحظهم  
ولرب ربح فات من ذي ذمة  
رأي السلامة إن أردت فخذ به

والنبيل محصور قليل الناصر  
والنبيل ما لهناته من ساتر  
والنبيل ما لكماله من عاذر  
والنبيل ما لشقائه من آخر  
يسعى إليك مع الخئون الخافر  
أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

### مصائب النخوة

لا تكن موئلاً لآمال قوم  
وأخف ما استطعت منهم يخالوا  
أن في طينة ابن آدم لؤماً

سوف تُمنى بياسهم منك بعدُ  
أمنهم من أذاك غنماً يُعدُ  
يستوي في قذاه حر وعبدُ

### بمن تثق؟!

ثق بالرديلة تلقها  
إن الفضيلة قلما  
حتى الأفاضل عرضة  
ما كل يوم يُرتجى  
ومن النوادر أن تُرى  
من لم يدر في دهره

في كل حين حاضره  
تلقاك إلا عابره  
لهوى الهنات البادره  
عطف النفوس الطاهره  
عند التعطف قادره  
دارت عليه الدائره

### من تكون؟ ومن لا تكون؟

كن بينهم «بوذا» فإن لم تطق  
أو عش معافى بينهم لا ترى  
قد ضل من يطلب إصلاحهم

فكن كتيemor ونيرونا...!  
إصلاحهم دنيا ولا ديننا  
لا غرو أن سموه مجنوننا!

يأمنهم من فاتهم طائعاُ  
أو راح فيهم طالباُ نفعه  
من هان أو هان الورى عنده  
أولئك الرهط الذي لم يزل  
يا بؤس أرض لا نرى فوقها  
إلا طغاة أو مراثينا  
أو ساقهم كرهاً مطيعينا  
لا عاليًا يأبى ولا دونا  
أو سامهم في ظلمه الهونا  
يأمن ما يخشى النبيونا  
إلا طغاة أو مراثينا

### الخلاصة الأولى والأخيرة

هما سبيلان من يبيع السلامة لا  
ومن بغى الحق في الدنيا فلا أسف  
قد يهجر الأمن من ذلوا ومن وهنوا  
فاختر لنفسك: إما المجد في خطر  
وما اختيارك إلا ما خُلِقَتْ له  
يأسف على الحق أو يحلم برؤياه  
على السلامة إن خانته دنياه  
وما تفرق قط الهول والجاه  
أو الهوان، وقد تشقى ببلواه  
إن الطبائع ما ترضاه نرضاه

### عداوة الرجال وعداوة الأفكار

قصدا الرجال ورحت أقصد دونهم  
فجنيت أحقاد الرجال وما جنوا  
ولعلمهم إن جاء يوم حسابهم  
لولا الطبائع ما توصل عاقل  
إرضاء آمال لمصر كبار  
حقداً من «الآمال» والأفكار  
كسبوا من «الآمال» كل فخار  
أبداً بغير وسائل الفجار

### صراع بين ندين

بعض المجرمين يُوصَفون بقوة العقول؛ لأنهم صرعوا ضمائرهم ومضوا خفاً في طريق النجاح، ولو كانت ضمائرهم حية قوية لما استطاعوا قهرها ولا وصفهم أحد بكبر العقول، فرَّبَّ عقل صغير غلب ضميره؛ لأن ضميره ميت لا يتحرك، ورب عقل كبير عنا لضميره لأن ضميره أكبر... فخير لمن يصف عقلاً بالقوة أن ينظر إلى الندين، وأن يرجع في حكمه إلى أصول الصراع!

## وحي الأربعين

صرع الضمير الميت فالتفتوا  
ليس الصراع بفن مقدرة  
ولرب عقل للضمير عنا  
يتعجبون لعقله العاتي  
ما بين أحياء وأموات  
تعنو العقول له زرافاتٍ

## صور الرجاء

أمسيت أذكرها ما مضى من صبوتي  
قد ييأس الإنسان من غده ولا  
ما شئت من صور الرجاء فَلُدُّ به  
والذكر آمال الزمان الغابِرِ  
تلقاه ييأس من حنين الذاكرِ  
بعض الغد الآتي كأمس الدابرِ

## شفاعة العفو

إن الإساءة إن رجعت بها إلى  
من علل الأشياء ردَّ دفينها  
أولى بمحو الذنب أن يُلقَى به  
أصل غرست لها جذورًا في الثرى  
حيًا ويابسها المحطم أخضرا  
كالفرع جف على الثرى فتكسرا



## قصص وأماثل

### أكاروس

قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تُروى على روايات كثيرة في الأساطير اليونانية القديمة، وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها؛ لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية، وهذه هي خلاصتها: ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدررة الخارقة في الصناعة وحسن الحيلة في تذليل المصاعب والخروج من المأزق، وزعموا أنه غار من ابن أخته الذي كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب في البلاد براً وبحراً، حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقي عنده كرامة وحسن وفادة، وأمّل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته في تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام.

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثوراً مشهوراً في الأساطير باسم «منوطور»، فولدت منه طفلاً لا إلى الثور ولا إلى الإنسان، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه في غفلة من زوجها المخدوع، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبني لذلك الطفل سرداباً مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة، فتردد الصانع أولاً وحسب حساب الرفض والقبول، ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسياسة الزوجة واطمئناناً إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب، ولكن الملك علم به فثارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هارباً من عقابه، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة، ونصح الحكيم الصانع ولده ألا يعلو في السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبيلهما الرشاش الكثير، ولكن الولد نسي النصيحة وهو في نشوة الطيران

والوثوب، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه؛ إذ سقط هالكا على صخرة في البحر يبكيه من حولها نبات الماء، فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح:

أكاروس هذا مسبح الطير فاركب  
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه  
وظن بنا عجزًا، فيا سوء رأيه!  
أدر مركب الريش الذي ما استقله  
وطرّ نلتمس عبر<sup>٢</sup> الشمال ونرتحل  
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها  
وتلك المهاوي من خضارة<sup>١</sup> فاجنب  
ونادى، فنحى جنده كل مركب  
متى حيل ما بين السماء وكوكب  
أنيس ولا جن ولا ذات مخلب  
على سنة الطير التي لم تُهذب  
على أهبة في جوها المتقلب

\* \* \*

ألا وادخر عزمًا يقودك شرخه  
وسر قدمًا إن المطار لواحد  
أكاروس! إنا هاربان من الردى  
توسط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدًا  
فإنك إن تغتر بالشمس ينخذل  
هنا لافح يوهي اللحم، وها هنا  
أكاروس، إنني باذل لك من يدي  
تذكر عظاتي واعلم اليوم أنه  
ولا تتخذ ريشي وتنس نصيحتي  
أقل من الصخر امرؤ ضم جسمه  
ولي فيك أعمار طوال وللدنى  
إلى الأوج، فاحفظه لشوط مغيب  
ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب<sup>٣</sup>  
فلا تجعل العقبي إلى شر مهرب  
ولا تك من يعلو إلى غير مطلب  
جناحك، أو تبتلّ بالماء ترسب  
لريشك وهي من رشاش مرطب  
ومن خبرتي ذخر الصناع المجرب  
صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبي  
يخُنك جناح الرأي يومًا فتعطب  
أمانة روح لم يصنها لمأرب  
فأسند إلى عزم الصبا حزم أشيب

<sup>١</sup> اسم معرفة للبحر.

<sup>٢</sup> العبر الشاطئ.

<sup>٣</sup> أي إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد، ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك، وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام.

فتى صالحًا يجني الفناء على أب  
فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب<sup>٤</sup>  
سبيل إلى تكراره لمعقب  
وللأرض منا لهفة المتغرب  
وإما فراق شاعب كل مشعب

حياتك من بعدي معادي، ولن ترى  
وللأمس شوقٌ أن يرى الغد طالعًا  
بُنَيَّ استمع قولي فما بعد نسيه  
إلى الجو! هذا يا بني وداعنا  
فإما لقاء بعدُ فوق صَعِيدِهَا

\*\*\*

وَنِعْمَ الموصِّي من حكيم مدرِّب  
من العجز إن قيست بها لم تركب  
لثُقْبَس من سر الحياة المحجب  
أَكْفًا وأعضادًا إلى كل منكب  
قدير على فعل الأعاجيب معجب  
وخلصه شعبان وحيلة ثعلب  
وبيت لأجيال وزين لمنصب  
وقد يحمل الغيران أوزار مذنب  
ولم يرع حق الأخت في ابن محب  
وواراه، لم يندم ولم يتحوب<sup>٦</sup>  
فضاء أثينا من مقيم ومعزب  
وهذا مزجى دونها كالمترب  
نكاء يريك النجم في جنح غيهب  
وكانت منارًا بين شرق ومغرب  
تصعد أثناء الذرى بالتصوب  
على خير أهل في حماها ومرحب

وصاة لديدالوس وصى بها ابنه  
صناع له كف كأن أكفنا  
عليم بأسرار الفنون، وإنها  
ومن يؤت تصريف الجماد يصف به  
وناهيك ديدالوس من ذي حصافة  
يُعيرك من يمناه صوله قشعم<sup>٥</sup>  
ويبني فمبناه عماد لأمة  
ولكنه بئس الغيور على اسمه  
تغيظ لما بزّه فرع صنوه  
فأصماه، لم يشفق عليه من الردى  
وما كان إلا أن نبا بكليهما  
فهذا مسجى في ثراها مترب  
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره  
ووارته من عين الغريم فنونه  
وما زال يغروري البلاد ويتقي  
إلى أن تلقته «كريت» وربها

<sup>٤</sup> الكنف: الحرز، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

<sup>٥</sup> القشعم: المسن من النسور، ومن كل شيء.

<sup>٦</sup> تحوب: أي تجنب الحوب، وهو الذنب.

## وحي الأربعين

وأمل «مينو» منه حصناً لملكه      فحصنه «مينو» بملك مؤشِب<sup>٧</sup>  
وما ملك إلا له من صناعة      معاقل يبنيها ليوم عصبصِب

\* \* \*

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤ      يُخاف ويُرجى للمخوف المؤرِب<sup>٨</sup>  
تحير ديدالوس ما بين منكر      وشكر، وغب اثنيهما غير طيب  
أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه      وأنجاهما في طيه سم عقرب  
غوت غرس مينو واشتهت، ساء ما اشتهدت      من الناس، لا بل من بهيم مذنب  
تحن إلى ثور وتهوى اقترابه      وليس ولي العهد منه بمعجب!  
فأولدها طفلاً له مثل ظلفه      إلى شر وجه آدمي ومنكب  
ويا رب أنثى تعشق الثور كلما      سباها فتى بالجسم لا الروح يستبي

\* \* \*

فمن غير ديدالوس يخفي شنارها      ويرعى مهاد الطفل رعي المؤدِب!<sup>٩</sup>  
أهابت به أمًا وأنثى حريصة      ومالكة حيرى، فلم يتهيب  
بنى لسليل الثور حرزًا، وليته      تلمس حزرًا من غوائل مغضب  
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه      وضاجع أشجان المعنى المعذب  
وأقسم لا واقٍ من الموت عنده      ولا وائل من سخطه المتلهب  
وأهول من هول الخضارم في الدجى      ضراوة مهتوك وغيظ مخيب

\* \* \*

فلما تنادى الجند وارتجت القرى      وخيف الأذى من حاضرين وغيب  
وقالوا: أمن رب الجزيرة حربه      يوقيه عرض البحر أو طول سبب  
أهاب الصناع العبقري بفسنه      فلباه، فاستعلى به متن أشهب<sup>٩</sup>

<sup>٧</sup> متشابك ملتف.

<sup>٨</sup> المعقد المحكم.

<sup>٩</sup> الأشهب: الأمر الصعب، وقد يُطلق على الطير الجارح الأشهب.

تسريل من ريش وسريل نجله      خوفاق لوى بينها ألف لولب  
فحلق مزهواً وفر مظفراً      وأغرى لسان السخر بالمتعقب

\*\*\*

مضى ناجياً من بأس «مينو» فهل نجا      فتاه من البأس الذي فيه يختبي؟  
بلى! قد نجا لولا طماح سما به      إلى الشمس في ثوب من النار مذهب  
تعشقها مفتونة فتقبلت      هواه بوجه صادق النور خلب  
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى      لنصح نصيح أو لزجر مؤنب  
وما هي إلا وثبة بعد وثبة      إلى الشمس حتى عزه كل موثب  
تعشقها ناراً، فإن جاءه الأذى      من النار، فليعتب فلا حين معتب

\*\*\*

علا بدم حي وخر مضمخاً      به في جناحي أرجوان مخضب  
طريحاً على صخر تغشيه رغوة      من العيلم<sup>١٠</sup> الغضبان في غير مغضب  
وراحت بنات الماء يندبن حوله،      ومن ير أنقاض الصبا الغض يندب  
وما من عزاء للشباب علمته      سوى مدمع من أعين الحسن صيب  
إذا جال في حسبانه هان عنده      دموع ذراها<sup>١١</sup> الحزن من طرف أشيب

### عيد ميلاد في الجحيم

دخل شقي الجحيم، فحسبوه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم، ومضى عليه العام  
فاحتفل بعيد ميلاده، وقال لأترابه وأنداده:

صفوا الموائد واملأوا الأكوابا      وادعوا الصحاب، وبشروا الأحبابا

<sup>١٠</sup> العيلم البحر.

<sup>١١</sup> ذرا الشيء: فرقه وبعثره.

## وحي الأربعين

قولوا مضى عام ليوم هبوطه  
وبلا المقام فراح يحمد شر ما  
هذا الجحيم أحب لي من عالم  
الشر ثمة كان شرًّا كاسمه  
يشقى بنوه ليعمره ويحشموا  
لا يعرفون الحق إن سمعوا به  
أهون بصابٍ في الجحيم أذوقه  
صائبًا إذا ارتوت الشفاه شربته  
ولربِّ وجه يومذاك شهدته  
وجه اللئيم إذا استهل ومثله  
ورضا الظلوم وحيرة المظلوم في

هذا الجحيم، فقر فيه وطابا  
فيه، وأدب<sup>١٢</sup> باسمه إيدابا  
ما كان لي إلا رجاء خابا  
والخير كان كما علمت سرابا  
فيه الشقاء ليرجعوه خرابا  
إلا ليلقوا في الحقوق عذابا  
قد كان ثمة كل شيء صابا  
بالناظرين، وساء ذاك شرابا  
فكأن سمًّا في العيون انسابا  
وجه الكريم إذا اضمحل وذابا  
بلواه يطرق كل يوم بابا

\* \* \*

يا صحب حيُّوا النار في ويلاتها  
ما كان من حسن هناك فجهده  
أو كان من فضل هناك فحسبه  
يا صحب هاتوا من علاقمها لنا  
من عاش عامًا في الجحيم فلا انتهى

واحثوا على ذاك التراب ترابا  
أن يخدع الأبصار والألبابا  
أن يملأ الدنيا عليك صعابا  
وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا  
أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

هو وضميره

هو:

ماذا أقول؟ ظلمتهُ وجدتهُ حق الثناء، وإنه لعظيمُ

<sup>١٢</sup> أقام مأدبة.

ضميره:

قل إنه خير الأنام، وإنه عالي المقام، وإنه مهزومٌ

هو:

هيهات! أخسر ذلك المال الذي تدري مصادره، وأنت عليمٌ!

ضميره:

لك أن تبوح إذن بباطن سره وتلوم من هو في الخفاء ملومٌ فكبا بحمل الصدق، وهو كظيمٌ

هو:

أفأنت خصمي يا ضمير؟ أناصح أتريد أفضح آجري<sup>١٣</sup> وأرتدي لي بالجنون؟ أهازل؟ أسقيم؟ ثوب الصغار، فيبرح المكتوم؟

ضميره:

كيف الخلاص؟ إذن تنقص قدره قل إنك الرجل الغيور، وإنه لا ترتدي ثوب الصغار ولا تشي وتروح بين الناس صاحب سمعة وامسخ فضائله، ودعه يهيم<sup>١٤</sup> قدم، وإنك بالعقول رحيمٌ بالآجرين، وغيرك المحرومٌ ينفض<sup>١٤</sup> حولك مسكها المختومٌ

<sup>١٣</sup> جمع آجر.

<sup>١٤</sup> جاهل غبي.

هو:

أبدًا بتهوين الصعاب زعيمُ  
سأظل أقعد غاضبًا وأقومُ  
رَجَل الغيور! وحبذا التعليمُ!

بُورِكت يا هذا الضمير فأنت لي  
الآن فاذهب «تستريح» فإنني  
أولست بالرجل الغيور؟ أجل أنا الرُّ

### كعبة الأصنام بعد الزلزال

زينة تأخذ قلب الصب تيتها  
والدمى مستعبدات صائغيها  
أو تماثيل تناجي عاشقيها  
كاد من صلى إليها يزدريها  
فتداعى، فبدا مسخًا كريها  
فاحتوته ظلمات غاب فيها  
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!

كانت الكعبة والأصنام فيها  
حفلت في كل ركن بالدمى<sup>١٥</sup>  
هي أصنام لمن يعبدها  
عظمت حينًا فلما زلزلت  
كان فيها صنم الحق نبيها<sup>١٦</sup>  
نزع الزلزال عيني رأسه  
وارتمت ساقاه في جانبه

\* \* \*

صاغي السمع، كما شئت، نزيها  
وسمات تزدهي من يجتليها  
ومضت كف بلا كف تليها  
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!  
حيث لم أبصر له قط شبها  
واسع الصدر، يحييك وجيها  
عن حنايا صدره لا قلب فيها

كانت النخوة فيها صنمًا  
يخلب الطرف بحسن واضح  
فارتمت أذناه في الأرض لقي  
يطلب الغوث ولا غوث له  
والإخاء المحض كم أبصرته  
قائمًا يفتتر عن مبسمه  
شقه الزلزال فانجاب لنا

<sup>١٥</sup> جمع دمية، وهي التمثال.

<sup>١٦</sup> النبيه: من النباهة، وهي الظهور والشهرة.



## قصص وأماثل

خير ما في وجهه ظاهره هل ترى داعيه إلا سفيها؟

\* \* \*

وتراءى الحب فيها فتنة ما اجتواها زائر من زائريها  
ضرب الزلزال في أصنامه فهوت أشلائها تنعى ذويها  
ما الذي أبقاها من أشلائها؟ سواة يعرض عنها مشتھيها

\* \* \*

وهوى تمثال مجد لامع يخطف العين بنور يعتليها  
ملاً الدار علينا جوهرًا زائفًا ينطق بالزيف بديها  
وقشورًا لا تساوي وزنها من تراب، لن ترى من يشتريها  
هي إن قامت جمال فإذا سقطت، لم تكد العين تعيها

\* \* \*

هكذا أقوت زوايا كعبتي وثوت خاوية من ساكنيها  
غير أنني طائف من حولها لم أشأ أھجرها أو أبتنيها  
لا طواف المتملي<sup>١٧</sup> حسنھا أو طواف المهتدي من عابديها  
بل كمن نقب في جوف الثرى يجمع الآثار في شتى سنيها  
من فراغ لا من الرغبة في تلکم الآثار، أمسى يقتنيها  
أو هي العادة كالطيف إذا هام بالأحداث يبكي نازليها

## بين الشاعر وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت أمالي وكذبت أحلامي، وأشمت عذالي  
إذا ما وعدت اليوم أخلفت في غدٍ وهيهات لا تبقيين يومًا على حالٍ

<sup>١٧</sup> تمل الحسن: نظر فيه واستمتع برؤيته.

يظل غريزاً من أعارك سمعه وإن عاش أجيالاً عفت بعد أجيالٍ

\* \* \*

كفى يا صديق العهد هيجت بلبالي وما أنت بالسالي هواي ولا القالي  
ملامك فيه الحق، أو فيه بعضه وما غاب عن ظني ولا بان عن بالي  
إذا قلت زوراً فهو من صدق شيمتي ومن يصف الدنيا يصف خيم<sup>١٨</sup> ختالٍ  
إذا هزلت أُمي الحياة فهل ترى من الصدق ألا يطرق الهزل أقوالي؟  
بحسبك من عذري إذا ما عدلتني أمانة تمثيلي، وروعة تمثالي!

### إبليس ينتحر

الاستعباد هو الجو الذي تعيش فيه الشياطين لأنه جو الخوف والإغراء، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء:

هاتوا لي الخير والهدى جرعا أبخع نفسي حزناً كمن بخعا  
حرية القوم أفسدت خدعي! لم تبق لي في الأنيس منخدعا  
إن مُنعت لذة حفزت لها فكيف حفزي من لم يكن مُنعا؟  
أو حجبت شهوة أزينها فكيف تزيين ظاهر سطعا؟  
وإن طغى ظالم له خنعوا فكيف يطغى إن عز من خنعا  
لو دام هذا البلاء واتسعت حرية القوم ضاق ما اتسعا  
واستغنت الأرض والسماء معاً عن الشياطين فانطوا جزعا  
ما حاجة الأرض للأبالس في عهد نضا الخوف عنه والجشعا؟  
وكيف تغذوهم بلا عمل وهي على السعي شأنها اجتماع؟  
وأيّن يأوونها إذا قشعت عنها ظلام الدهور فانقشعا  
أتى زمان أموت فيه أنا إبليس يأساً، وفي يدي صنعا

<sup>١٨</sup> الخيم: الطبع والعادة.

قصص وأمثال

ودعت ملك الدنيا وودعني      ملك إذا هم قلماً رجعا  
هاتوا لي الخير جرعة فإذا      ضعفتُ عنه شربته جرعا  
سأسبق الموت حين يتبعني      فإنه لاحق إذا تبعنا



## وصف وتصوير

### خليج ستانلي أو حمام البحر في الإسكندرية

يا ويح قلبك من هدفُ      صال المسدد أم صدفُ  
بين الملاح المفرغا      ت من الأشعة والسدف<sup>١</sup>  
سمر كما اسمر الجنى<sup>٢</sup>      بيض كما ابيضُ الصدفُ  
كشف الخضم طلاءهنُ      ن، ولا حجاب لما كشفُ  
قف في سبيلك لحظة      وانس الشقاء وما اقترفُ  
حيث الخماص ولا طوى      حيث العراة ولا شظف<sup>٣</sup>

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدفُ      بين البضاضة والهيْفُ  
«كوبيد»<sup>٤</sup> يعرض من سلا      حيه الفخامة والرهْفُ  
تلقي الطويلة كالقصيـ      رة، والسماحة كالصلف<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> السدف: من الأضداد، بمعنى الظلمة وبمعنى الضوء.

<sup>٢</sup> الفاكهة التي تُجنَى.

<sup>٣</sup> الخمصانة ضامرة البطن، والطوى الجوع، والشظف ضيق العيش.

<sup>٤</sup> رب الحب في الأساطير اليونانية.

<sup>٥</sup> الصلف الكبرياء.

وحي الأربعين

برق السحاب طوالها      وقصارها برق خطفٌ  
والسهم يقصد<sup>٦</sup> إن جثا      رامى السهام أو اشترف<sup>٧</sup>

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدفٌ      بين الأناقة والترفٌ  
بل بين ألوان الربيع      مع قد اختلفن، وما اختلفٌ  
ألقى لهن بقوسه      قزح، وأدبر وانصرفٌ  
فلبسن من أسلابه      شتى المطارف والطرف<sup>٨</sup>  
وخلعن من ألوانه      تحفًا تنم على تحفٌ  
عيد الشباب فلا كلا      م ولا ملام، ولا خرفٌ

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدفٌ      بين الصغيرة والنصف<sup>٩</sup>  
ري لمن طلب الهوى      رياءً، ولذة من رشف<sup>١٠</sup>  
كالزهرة الحسناء أو      كالغصن في الروض العطفٌ  
أن تعلم أو تجهلا      فلأنت تعلم ما التلفٌ  
ولأنت تعلم ما الجوى      ولأنت تعلم ما الشغفٌ  
الحب يرمي عنهما      يا ويح قلبك من هدف!

\* \* \*

يا ويح قلبك بين ني      وطن بمصر وني كنف<sup>١١</sup>

<sup>٦</sup> أقصده: طعنه فأصابه.

<sup>٧</sup> اشترف: وقف منتصبًا.

<sup>٨</sup> المطرف: الرداء، والطرفة: ما يُستملح ويُستظرف.

<sup>٩</sup> النصف: متوسطة السن.

<sup>١٠</sup> رشف الماء: مصه بشفتيه.

<sup>١١</sup> الكنف: الحرز، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

ما بين شرقي جفا سل عصبه سكنت «جنيد»  
تدعين حرفتك السلا هذي الملاحه قربت  
دين الملاحه واحد حرم بميدان الحيا  
ما في جوانب بيته أو بين غربي عطف  
ف« تكلف بك أم كلف؟! م، وما السلام بمحترف  
بين الحدود، ولا جنف ترك المذاهب وائتلف  
ة وملجأ لا يُعتسف إلا طبيب أو دنف

\* \* \*

قف في عبورك غير مأ قف في عبورك غير مأ  
فإذا زهبت مولياً فإذا زهبت مولياً  
قال الجمال فلا تخف قال الجمال فلا تخف  
هذي المحاسن موسم هذي المحاسن موسم  
جمعت لعينك ساعة جمعت لعينك ساعة  
ملأت خليج «ستانلي» ملأت خليج «ستانلي»  
بحر تتابع مده بحر تتابع مده  
زمر تصباك الظمى زمر تصباك الظمى  
وعنك من شمم هنا وعنك من شمم هنا  
ورأيت معسول اللمى ورأيت معسول اللمى  
والشعر من شفق هفا والشعر من شفق هفا  
والنور في بدر سرى والنور في بدر سرى  
فتن شهدت زحوفها فتن شهدت زحوفها

<sup>١٢</sup> الطنف: ما برز من البناء.

<sup>١٣</sup> العين الظمياء: الرقيقة الجفن، والوظفاء: الغزيرة شعر الجفن.

<sup>١٤</sup> الذلفاء: الصغيرة الأنف.

<sup>١٥</sup> اللمى: سمرة في الشفة، وهي من الألوان المحبوبة قديماً وحديثاً، وازدلف: تقرب.

## وحي الأربعين

فهمتفت «فليحي الجمال» وقد يعاقب من هتف!  
هذي معارض صنعة لله تبهر من وصف  
حي الجمال كما بدا أو لا فدونك والجيف!

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدف بين التعلل واللهف  
كم ذا رأيت، وكم طمع—ت، وكم قنعت ولا أسف  
أسرفت حتى قد عرف—ت القصد من هذا السرف  
ما زال يطمع من رأى ما زال يقنع من عرف

## مدينة الشمس

صدقوا! فأنت مدينة الشمس وهبتك من نور ومن قدس  
كم للنهار عليك مائدة من فيضه، كموائد العرس<sup>١٦</sup>  
تجد العيون بها كفايتها ويزيد حظ القلب والنفيس  
لحسبت أرضك وهي مشرقة تفتت عن لمحات ذي حس  
بعض الضياء إذا نظرت به أغناك عن سمع وعن لمس<sup>١٧</sup>

## شمس أسوان

شمس أسوان في الشتا ء ارقصي أو تبرجي  
إنك الشمس صُورت فوقنا للتفرج  
لا لدفاء كما ادعوا أو لتوضيح منهج!

<sup>١٦</sup> موائد العرس مشهورة بالمبالغة في السخاء.

<sup>١٧</sup> إذا شغل الضياء النفس لفرط بهائه وشموله أفعمها بالحس؛ فلا تلتفت إلى ما يُسمع ويُلمَس.



## الجسم الخجل

أرى في البحر أجسامًا تشعُّ عليها من حياء الحسن درعُ  
إذا ما الماء جمشها تراءى لها خجل على الأعطاف بدعُ  
وما خجل الخدود وذاك جسم سنى الخجل المورد فيه طبعُ؟

## القمرء

كلما أشرق في الليل القمرُ  
وسها الناس ولاذوا بالحجرُ  
خِلْتُ أرواحًا تداعت للسمرُ  
زمرًا تهمس من حول زمرُ  
أن هذا الحسن لا يمضي هدرُ  
حينما أسفر نور وانتشرُ  
وحلا في خلوة الليل السهرُ  
فهنا لا ريب حس وبصرُ  
شيمة المسحور يقفو من سحرُ



## غزل ومناجاة

### مباراة في مزايا الشفاه

تبارت شفاه حباها الإله      بشتى المزايا، وشتى النحلُ  
لأبي الشفاه تجيب السماء      وأي الشفاه هناك الأؤلُ

\* \* \*

فنادى جبابرة العالمين      نداء المدل بأمر جَلُّ  
لنا وحدنا صولجان العلا      ومنا الرجاء، ومنا الوجَلُ  
إذا ما نطقنا توالت خطوب      وصالت شعوب، ودالت دُولُ  
وفي همسة تنجلي فتنة      وفي مثلها يتدانى أَجَلُ  
ونادى العباقرة الملهمون      صحاح المعاني فصاح الجُمْلُ  
لنا وحدنا جائزات الشفاه      إذا اختلفت سبلها في الجَدَلُ  
فمنا الجمال، ومنا الهدى      ومنا العزاء، ومنا الجذَلُ  
وبالنطق يكتمل الآدمي      وفينا تكامل حتى اكتملُ

\* \* \*

وأقبل سرب الأطباء الملاح      رخيم البغام<sup>١</sup> مليح الكحلُ

<sup>١</sup> البغاء أرخم صوت الطبي.

## وحي الأربعين

فقال وفي قوله لثغة      كأنك ترشفت منها العسل  
لنا القول فيكم رجالَ الكلام      لنا القول فيكم رجالَ العمل  
لمسنا شفاهاً ففاضت سنَى      وجرنا على جائر فاعتدل  
ومنا تذوقون طعم الحياة      وهل طعمها غير طعم القبل  
تسمونها قبلة واسمها      رحيق الخلود، ورياً الأمل

\* \* \*

فأطرق ربهم لحظة      ونادى بأقربهم فامتثل  
وقبل مبسمه قبلة      تضرم منها مكان الخجل  
وقال: أجل! تلك أعلى الشفاه      فأصغوا، وقالوا جميعاً: أجل

\* \* \*

بذا حكموا بعد طول المطا      ل، فليسمعوا رأيي المرتجل  
إذا التمسوا مثلاً للشفاه      ه، قلت لهم شفتاك المثل  
لثمت الحياة بلثميها      وعاودت بعد السلو الغزل

## المعاني الحية

أمواج حسن زاخره      تلك الوجوه الناضرة  
فتن على فتن وغا      مرة تليها غامرة  
طوفان نوح أنتم      ليت السفينة حاضره

\* \* \*

يا جيرة البحر اقنعوا      منا بعين ناظرة  
ودعوا القلوب كليله      ودعوا القرائح عائرة

\* \* \*

من كل وهاب لكم      نعمى هبات وافره  
خلع الإله عليكم      خلل الجمال الفاخره

## غزل ومناجاة

والبحر نشوة خمرة	خمر البحار الكاسرة
والشمس ما تهدي الثما	ر الناضجات الباكرة
ورأيت رفرفة النسيب	م على الجسوم الطائره
فالآن ماذا تنظرو	ن من النفوس الشاعره
لم يبق في كنز الخيا	ل بقية من نادره
برزت معاني الشعر في	ثوب الحياة الظاهره
أنتم معانيه فما	تغني النفوس الحائره
أنتم عرائسه وها	تيك المسارح عامره
هيهات، ما لممثل	أو شاعر من خاطره
ما الترجمان وتلك أس	رار التراجم سافره
فإذا بخلنا بالقصيد	يد فعاذر أو عاذره

## غزل فلسفي: فيك من كل شيء

فيك من شمس الضحى العين التي	ترسل الملح مضيئاً في الظلام
فيك من بدر الدجى أحلامه	حين يسري نائماً بين نيام

\*\*\*

فيك من كل ربيع طلعة	تذبت النضرة عاماً بعد عام
والشتاء الجهم لا يعدوك من	عهده العاصف برق وغمام

\*\*\*

ما تغنى الطير إلا بعض ما	أنت راويه، ولا ناح الحمام
وإذا الجدول ناغى نفسه	فهي أصدأوك من غير كلام!

\*\*\*

وصنوف الوحش هل ناظرتها	من نفار بينكم أو من وثام؟
لا انفتال الحوت تنسأه ولا	سطوة النسر ولا خوف النعام

## وحي الأربعين

\* \* \*

فيك من نار الحياتين الهوى هل حياة الحي إلا من ضرام؟  
والذي أرهبه وا أسفًا هجرك المدعو بالموت الزؤام!

\* \* \*

فيك من دنياك نقص رائق ومن الأخرى تباشير التمام  
ومن الأملاك طيب ورؤًا ومن الشيطان غي وأثام

\* \* \*

ومن الخمرة سكرها إذا أسلست في النفس أو طاش الزمام  
ومن القوت غذاء، ومن الـ ماء ري، ومن الجوع هيام

\* \* \*

فيك من أرضك حظ وافر وحظوظ من سماء لا تُرام  
أجديد؟ إي نعم. قال الصبا أقديم؟ إي نعم. قال الوسام

\* \* \*

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحوم وعظام؟  
لا وربّي! بل دهور غبرت قبلما تتقنها الأيدي الكرام

\* \* \*

قبلما تتقنها الأيدي التي نسقت أنوالها، وهي حطام  
من وراء اللب صفاً ينتهي بعد صف، بين سدي<sup>٢</sup> ولحام

\* \* \*

<sup>٢</sup> السدي من الثوب: ما مُدَّ من خيوطه.

## غزل ومناجاة

فيك من هندسة علوية      ما استدار الخط فيه واستقام  
ومن الفن مثال بانخ      هو للمثال والشادي إمام

\* \* \*

فيك مني ومن الناس ومن      كل موجود وموعود تؤام  
كيف بي أعذل إن أغنيتني      أنت حتى عن شرابي والطعام  
إن نفوني اليوم من دنياهم      وأباحوا لي من الزاد المرام  
ثم قالوا: ما تشأ منها فخذ!      قلت هذا، وعلى الدنيا السلام

\* \* \*

قلت هذا، وتقدمت إلى      هوة الغيب، وفي الثغر ابتسام  
كيف لا يبسم من قبلته      تنظم الأوطار طراً في نظام؟!

\* \* \*

وإذا قبلته مستضحجاً      في تخوم الكون، والكون سدام<sup>٣</sup>  
فهي سخري بالذي ودعته      واغتباطي بمقامي حيث قام

## نضرة في الشتاء

يا نضرة في الشتاء أبصرها      أبهج من كل منظر نضِر  
كأنها والعيون تنهبها      والنفس تروى بحسنا العِطِر  
ألف ربيع للعين مدخر      بل ألف حب للقلب مختصر  
يا طيب ذاك الإكسير مجتمعاً      من حسن شتى الرياض والغرر  
أضمه كله وأرشفه      في قبلة كوثرية السكر

<sup>٣</sup> سدام: بمعنى ضباب.

## الشادن المتحيل

أشهدتني مكر الثعا  
وتركتني أرمي الشبا  
لا ألقينك بعدها  
فخآن أولى باقتنا  
لب في الغزال الأكلِ  
ك لقيء وأكسر مغزلي  
أبدًا بفخ أعزلِ  
ص الشادن المتحيلِ

## القبلة

هي كأس من كؤوس الخالدين  
كلما أفرغتها منتشياً  
وإذا أمتعك الري بها  
قد شربناها معاً في ليلنا  
لم يشبها المزج من ماء وطين  
مُلئت من كوثر الخلد المعين<sup>٥</sup>  
بدأ الشوق إليها والحنين  
فروينا، وافترقنا ظامئين!

## حسرة متلفة

يا له من فم  
يا لشهد بها  
يا لزهر بها  
حلوة ويحها!  
حسرتي بعدها  
يا لها من شفء!  
كدت أن أرشفء  
كدت أن أقطفء  
غضة مرهفء  
حسرة متلفء

<sup>٤</sup> اللقي: الشيء الملقى والمطروح.

<sup>٥</sup> الماء الجاري في سهولة.



## الجملة والتفصيل

جُمِعَتْ محاسن في صباك تفرقت  
في صنعة الخلاق أي تفرق  
في الشمس، أو في الروض، أو في الطير أو  
في الجدول المترقرق  
فإذا نعمت بها لديك فحبذا  
نعماي في ظل الجمال الريق  
وإذا ضننت بها رجعت أرودها  
في حينما افتרכת، ولما نلتق

## راووق النور

لا أرى الدنيا على نور الضحى  
هي كالراووق للنور فلا  
حبذا الدنيا على نور العيون  
صفو إلا صفوها العذب المصون

## النظرات تلتقي

نظرات العين في العين  
تلك أحلى ما حلمت به  
جمعت أشواق نفسيين  
من نعيم في الحياتين

## الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل  
لا بل الدنيا التي تو  
هكذا فليبسم البا  
أو فينسى البشر حتى  
لا يُلام العابسُ اليا  
وجهك الضاحك، لا بل كل جسمك  
مض نوراً حول نجمك  
سمُ إن شاء كيسمك  
ينقل البشر، بلثمك  
تُسُ إلا بعد لومك

## إلى الغرق

دعتك العرائس في بحرها  
إلى الماء! لا بل إلى السابح  
فليس على البحر إلا غريق  
سواحه احتشدت كلها  
ففيم الوقوف على الساحل؟  
ن، لا بل إلى الغرق العاجل  
وإن لم يكن فيه بالنازل!  
علينا. فيا ويح للغافل

## لست بلحم ودم

رائعٌ يخطر في مشيته  
لم يرُعني حينما أبصرته  
ما قضيت العمر إلا حالماً  
أنت وهُم لم تزل في خاطري  
خطرة الطَّيف لمن لم ينم  
حلمًا تم تمام الحلم  
كيف بالروعة من ذي قدم  
لست يا صاح بلحم ودم

## مائدة

مائدة أسرف في طهيها  
أكرمنا الطاهي بها ساعة  
حسن وأنس وحياء معاً  
مدت لنا طوعاً فما عذرنا  
عشرين عاماً عبقرى الزمان  
فكيف بالمكرم يلقي الهوان  
وظلعة البدر ونفح الجنان  
إذا تركنا لقمة في الخوان<sup>٦</sup>

<sup>٦</sup> الخوان: ما يُوضَع عليه الطعام.

## يوم مزيف

لك وجه كأنه طابع الصدِّ  
إن يوماً يمر بي لا أراه  
قِ على صفحة الزمان المأوف<sup>٧</sup>  
هو يوم أعده في الزيوف

## سعادة في قمقم

هنا قمقم سابح في الدمِ  
جهلت خباياه حتى أتى  
عريف الطلاسم بالمعجم<sup>٨</sup>  
سعادة بعض بني آدم  
وتذبل في حبسها المظلم  
تجن جنوناً بنور الضحى  
وقد زعموا أن إطلاقها  
رهين بهمسة ذاك الفمِ  
بسر على شففتي فاتن  
يُباح إلى شففتي مغرمِ  
فهل أنت مطلقها منعماً  
فديتك، أم لست بالمنعمِ  
وما أنا بالمشتهي قبلة  
ولا بالحريص على مغنمِ  
ولكنما أنا أبكي أسى  
لتلك الشهيدة في القمقم

## خير ما فيهن

غفر الذنب من بكائي عليكِ  
لا يساوي — وقد تعلمت منك —  
أنني لا أعود ما عشت أبكي  
نسل حوائك دمعة شكِّ  
خير ما في النساء ساعة ضحكِ

<sup>٧</sup> المأوف: المصاب بأفة.

<sup>٨</sup> المعجم الكتاب الذي يفسر الغريب والمشكل.

## زهرة لا تذبل

في الصيف يزكو عند مس السموم      أجل، ويزكو عند مس الشتاء  
خدك هذا أي نبت يدوم      ريان في كل أوان سواء؟  
يا ويلتا من نبت هذي الكروم      فالجوع موصول بذاك النماء  
وهل ترانا كل يوم نصوم؟

## ليلة البدر

هات لي الذكرى وجدد ما مضى،      عندك الذكرى ورُجعاها معا  
هات ما كان كما كان انقضى،      أو فجدد غيره مبتدعا  
ليلة البدر، وقد كان الرضى      موعد الأهرام نبغي مطلععا  
فقضى الله سواه غرضا

\*\*\*

قد نوينا ونوى الغيب لنا      نية أمتع للمستمع  
خسف البدر وأمسيت أنا      أدعي من نشوة ما أدعي  
كلما ناديتني هيا بنا!      قلت: هيا! وأنا في موضعي  
السنا عندي فما لي والسنا؟!

\*\*\*

خُسف البدر وما كان الخسوفُ      شيمة البدر الذي بين يدي  
نُشر الناس وطافوا بالدقوفُ      وأنا والبدر في نشر وطبي  
خلُّ من شاء كما شاء يطوفُ      إن بدري طالع منه إلي  
لا أحب البدر ترعاه الألوْفُ

\*\*\*

يا سمير الليل يا نَعَمَ السميزُ      ما لنا والصبح ما دمت أراكُ  
أنا في نور وروض وعبيزُ      حينما ألقاك لا ألقى سواكُ

## غزل ومناجاة

رشفة من ثغرك العذب النضيرُ أو من الكأس احتوتها شفتاكُ  
وسلام أيها الكون المنير!

\* \* \*

هاتِ لي من فيك أنفاس الغرامِ أو فقل إن شئت أنفاس الحياة  
واسقني الخمرة من أعذب جامٍ لا من البلور في أيدي السقاة  
ثغرك الضاحك كأس ومدامٍ ونديم لي، وراوٍ في الرواة  
ينشد الشعر فيشجيني الكلامُ

\* \* \*

ينشد الشعر جديدًا كالصبا وأنا ناظمه منذ سنينُ  
بث فيه من صباه عجبا فإذا قلت ارتجال لا تميمُ  
هاتِ لي الحسن وهاتِ الأدبا واسقني الخمر من الثغر المبينُ  
ذاك حسبي في زمني مطلبًا!

## أشعب الأهواء

كلما أمسيتُ في وكري قلت: يأتي! كيف؟ لا أدري  
أمل غطى على فكري فهو ذنبي فيك أو عذري

\* \* \*

لم تزرني غير مصطحبٍ كيف أرجو قرية القرب؟  
أشعب الأهواء غرر بي فرجوت الصدق في الكذبِ

## حجاج وروما

آل روما لكم منّا الولاء  
وسلام كلما ضاء لنا  
في حماكم كعبة ترمقها  
كعبة لا كالتّي يعمرها  
من حياة هي لا من بنية  
كرمت روما وذكرها بها  
نزلت ثمّ حجيجاً داعياً  
وثناء عاطر بعد ثناء  
شارق الصبح، أو اظلمّ المساء  
مهج منا وأماق ظمأ  
بينكم رهط القسوس الحنفاء<sup>٩</sup>  
شادها صخر وشاها طلاء  
وبنو روما، وما تحت السماء  
وهي أولى بحجيج ودعاء

\* \* \*

قبلتي يا «حُسن» من ذاك الحمى  
ورجائي اليوم في مغربها  
سلمت روما التي أنت بها  
وكساها لك نسّاج الربى  
وجلاها لك من يجلو لنا  
والذي أولاك من أنعمه  
ليت شعري كيف ألفت بها  
أترين اليوم فيها عجباً  
وبنو الرومان هل هم بدعة  
أحسب الأيام بحرّاً واحداً،  
من يرّ النفس من الباطن لا  
من يرّ الفن خيالاً فله

أنت لا القبلة من ذاك البناء  
وجهك الباسم لا وجه دُكاء<sup>١٠</sup>  
وسرى يُمناً بها ساري القضاء  
كل يوم زينة شتى النماء  
بشعاع منك آفاق الرجاء  
بهجة النورين: حسن وذكاء  
سيرة العصر وذكرى القدماء  
أم قديماً كل يوم في رداء؟  
أو هم الناس رياءً في رياء؟  
ما اختلاف الموج فيه والهواء؟  
يحفل الظاهر في الدور القواء<sup>١١</sup>  
بالرؤى<sup>١٢</sup> عن نظرة العين غناء

<sup>٩</sup> الحنيف: المتمسك بالدين.

<sup>١٠</sup> اسم من أسماء الشمس.

<sup>١١</sup> الخراب والفقر.

<sup>١٢</sup> جمع رؤيا وهي الحلم، والمعنى أن الذي يدرك جمال الفن بخياله لخليق أن يشعر بمتعة الفن دون حاجة إلى الصور التي تمثله للعين.

## غزل ومناجاة

بيد أن النفس من عاداتها      تخلق الأشباح في كل فضاء  
وتحب الظل حيناً والصدى،      وأصول الظل فيها والغناء<sup>١٣</sup>

\* \* \*

أنت في روما وفي مصر أنا      بعدت شقتنا لولا النجاء<sup>١٤</sup>  
بيننا جيرة نور ساطع      فوق رأسينا، ونور في الخفاء  
أرقب البدر إذا الليل سجا      فلنا فيه على البعد لقاء  
وأورد الشعر في مثل الكرى      فإذا فيه من الطيف عزاء<sup>١٥</sup>  
حلم الصادي!<sup>١٦</sup> فمن يوقظه      وعلى فيه من الماء شفاء  
أنت يا «حُسْنُ». وهل أنت سوى      حلم في يقظة القلب أضاء؟!<sup>١٧</sup>

## الأزاهير الأدمية

الأزاهير في الشجر      لا اختلاف ولا صَوْرُ  
والأزاهير في الغرر<sup>١٧</sup>      حيرة القلب والبصرُ  
بينها الزهر والثمرُ      بينها الشمس والقمرُ  
بينها التبر والدررُ      والمصابيح والشررُ  
عين يا عين لا نظر!      ها هنا! ها هنا الخطرُ

<sup>١٣</sup> المعنى هنا استدراك على البيت السابق، فحواه أن النفس تعودت إذا هي شعرت بالعاطفة أن ترى لها ظلًا مصورًا وتسمع لها صدًى مترددًا، ولا يغنيها عن الظل والصدى أنها هي تشتمل على أصول هذه الظلال والأصداء، وهي العواطف.

<sup>١٤</sup> النجاء: هو المناجاة أو المسارة.

<sup>١٥</sup> الشعر يستحضر الأطياف كما تستحضرها الأحلام، فالشعر من هنا شبيه بالكرى.

<sup>١٦</sup> الظمان.

<sup>١٧</sup> جمع غرة، وهي الطلعة والوجه.

## عيد ميلاد

كان الأقدمون يحتفلون بانتقال الشمس في الموعد الذي اختاره المسيحيون لإحياء مولد السيد المسيح بعد ذلك، وكلا هذين الموعدين يوافقان يوم الميلاد المعني في القصيدة التالية:

أقبلت والشمس والمسيحُ      في مولد واحد، سواءً  
في وجهك المشرق الصبيحُ      هداية الحق والضياء

\* \* \*

تهياً الكون من قديم      ليوم ميلادك السعيدُ  
فعابد الكوكب العظيم      أحيا ببشراك يوم عيدُ  
ومولد «السيد» الرحيم      وافقه المولد الجديدُ  
يوم تهدي على المديح      وزفه الخلد بالثناءُ  
فالدهر في عمره الفسيح      عوده البشر والدعاءُ

\* \* \*

النور والحسن واليقينُ      تحتفل اليوم في مكانُ  
إحدى وعشرين من سنينُ      قد تم في أوجها القرانُ  
ثالوثكم تم بعد حينُ      فليمض ما شاء في أمانُ  
وليتهف المنشد الفصيحُ      بالحمد في العيد والغناءُ  
كلاهما مغنم ربيحُ      لعاشق الأرض والسماءُ

## لو كان إلهاً

قال الشاعر الفرنسي «دوجيرل» لحبيته:

لو كنت إلهاً لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار، ولأعطيتك  
الملائك والشياطين الحانية بين يدي قدرتي وقضائي، ولأعطيتك الهيولى وما في



أحشائها من رحم خصيب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين؛  
ابتغاء قبلة واحدة.

وسئِلَ صاحب هذا الديوان: «وماذا تعطيني أنت لو كنت إلها؟»  
فقال:

أعطيك؟! كيف وما العطاء بخير ما  
بل لو غدوتُ كما اشتهيتِ وأشتهي  
فترين أنك حين فزتِ بخطوتي  
وتسيطرين على الصروف، وفوقها  
إن كان رب الكون عندك قلبُه  
وبكل شمس في السماء وضيئة

تبدي القلوب من الغرام الصادق؟!  
ربِّا، أخذتكِ أنتِ أخذِ الواثقِ  
أحلى وأكمل من جميع خلائقي  
نبضات قلبي المستهام الوامقِ  
أهونُ لديك بأنجم وصواعقِ  
وبكل بحر في البسيطة دافق!

### حرمان أو عطاء؟

مائدة كم بت أشتاقها  
أرحنتني منها، فقد عفتها  
فيا زماناً جاد لي منعماً  
إن تطلب الشكر على راحتي

ألقيت في صفحتها بالذبابِ  
فليس فيها مورد مستطابِ  
بالضن، أو أسعدني بالعذابِ  
ما أجدر اللوم بذاك المصاب!

### أيعشقون؟

أيعشق الناس يا حبيبي؟  
إن لم يحبوك يا حبيبي  
ما الحب لولا هواك إلا  
أحبيتُ حتى حسبت غيري

هيهات! بل تكذب العيونُ  
واعجباً! كيف يعشقونُ  
رجم الأساطير والظنونُ  
إن ذكروا الحب يقتدونُ

## معرفة متأخرة

بعد سبع من السنين وعشر  
عرفوا أي نعمة زارت الأُرَّ  
عرفوه لما رأوا بينهم شم  
عجبوا كيف فاتهم يوم وافى  
ذاك ميلادك السعيد هنيئًا  
عرف الناس فضل ذا الميلادِ  
ضَّ بأضعاف حسنها المرتادِ  
سًا مع الشمس أشرقَتْ في البلادِ  
فرعَوا عهده بذكر معادِ  
للذي فاز فيه بالإسعادِ

## ماذا عليه؟

ماذا عليه إذا استوى  
هذا القوام جماله  
أنى تمايل عطفه  
أشتاق بعض نفاره  
وإذا التوى ماذا عليه  
مهما تعسف، في يديه!  
مالت جوانحنا إليه  
شغفًا برؤية صفحته

## ملتقى الربيع

هاتِ الربيع الغض لي كله  
إن فاتني جمع أزهيره  
في روضة، بل طلعة، بل شفه  
في قطفة، فالرأي أن أرشفه

## نبضات جديدة

خفقات تلك من وزن جديد  
ذلك الوجه، وما العهد بعيد!  
أيها القلب! فأسمعني صدك  
أنت تهواه فلا تنكر هواك

\* \* \*

أنت تهواه وتسعى بي هنا  
لا تراوغني وقل هيا بنا  
كل يوم بعد يوم كي تراه  
في صريح القول، نستجلي سناه

\* \* \*

تحسب الرقة فيه ألمًا      فإذا أنت من الوجد تذوبُ  
لا يكون الحب إلا هكذا      أنا لا أجهل أسرار القلوبُ

\* \* \*

كاصفرار الشمس في ثوب الغروب      واصفرار العاج في ثوب القدم  
ذلك اللون نسيمه الشحوبُ      وهو في الحسن شفيح للسقمُ

\* \* \*

رحمة للقلب من ذاك الوجيهِ      صيغ من ذُوبِي حنان وحنينُ  
كلما رفرفت بالعين عليهِ      شبه الفرحان عندي بالحزينُ  
إن أشأ قلت خيال في الكرى      أو أشأ قلت عيان لا خيالُ  
جمع الأمران لي فيما أرى      حين صح الحلم في خير مثالُ

## سنة جديدة

أدركنا موكب السنينُ      في موكب الحب سائرينُ  
والحب من يغش ركبهُ      يساير النجم كل حينُ  
راجع حساب السنين يا      نجم، فما نحن حاسبينُ  
أبالألوف احتسبتّها؟      أم لم تزل تجمع المئين؟!

\* \* \*

يا سنة أقبلت لنا،      أقبلت ميمونة الجبينُ  
وداعنا فليكن غدًا      كما التقينا ... أتسمعين؟  
في موكب الحب نلتقي      وفيه نمضي مودعينُ



## قوميات واجتماعيات

### إلى المحسنين

ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال السنوي الذي أقامته جماعة الإحسان بطنطا في سنة ١٩٣٠:

يا جيرة الإحسان والمحسنين  
من يسمع الملهوف حق له  
من عين شمس جئتكم ناهلاً  
لا بل يراها كل قلب رأى  
يا حسنها من نير مرشد  
يا حيرة اليأس بنور اليقين

\* \* \*

حييت في محفلكم إخوة  
مريمكم أخت لعيساكم  
تعددت أديان قصادكم  
كونوا لمن ليس له شافع  
للطفل، من للطفل في ضعفه؟  
هما رضيعا رحمة ثديها  
لا خير في الدنيا ولا أمنها  
كلاهما عنوان ما عندنا

بناتها في الخير صنو البنين  
وكلكم آمنة أو أمين  
وما لكم في برهم غير دين  
في هذه الدنيا ولا من معين  
للشيخ، من للشيخ حاني الجبين؟  
لا يفطم الأبناء فطم السنين  
إن لم يكن هذان في الأمنين  
من نصرة للعيش أو للمنون

\* \* \*

أقوى بني الإنسان في بأسه      من يرحم الضعف ويأسو الحزين  
من يصرع الجبار دون الذي      يصرع جبار الشقاء المكين  
ذاك العدو المستطير الأذى      في حاضر العهد وماضي القرون  
هيا اصرعوه صرعة من يد      رقيقة المس و صدر حنون  
فالمجد في تجفيف دمع جرى      لا في دم تجريه حرب زبوناً

\* \* \*

يا غارسي الإحسان في «طننتا»      ما خصبكم فيها بماء وطين  
دوحتكم في أرضها أثمرت      ما تثمر الجنة للمتقين  
ظل ظليل، وجني رحمة      ريان يؤتي أكله كل حين  
أحسنتم بدءاً وأحسنتم      عوداً، وعقبى الصبر للمحسنين  
وكان منكم كل خير لها      وحبذا من بعده ما يكون

## إلى غاندي يوم إفطاره

غاندي لك النصر المبين على المدى      ولشانئك الخسر والخذلان  
لم ألقَ قبلك من يحرر قومه      وهو السجين الجائع العريان  
بالجوع والحرمان تصلح أمة      أخنى عليها الجوع والحرمان  
خذ من قرارة دائهم لدوائهم      بعض السقام من السقام ضمان  
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم      بقر السوام ويُلَعَن الإنسان  
عكسوا الأمور فكان عكس أمورهم      بعض الجزاء، ومن أهان يُهان

<sup>١</sup> الحرب الزبون: الشديدة التي يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

فاشفع لنقص القوم عند كمالهم فكذاك تغفر ذنبها الأوطان<sup>٢</sup>

## عيد الاستقلال السوري

ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة ١٩٣٠:

ربع الشأم أعامر أم خالٍ  
إني لأرجع بالسؤال أطيله  
سكتوا وأقفرت المنازل منهم  
بُوركتَ من وطن يجل شهيده  
وطن تضيق الأرض عن أبنائه  
يستبدلون الخافقين ببضعة  
ذهبوا بأفئدة تفرق شملها  
اليوم عيدك عيد الاستقلالٍ  
لو يملك الشهداء رجع سؤالي  
إلا منازل من صوى<sup>٢</sup> ورمالٍ  
في حيثما ألقى عصا الترحالٍ  
وإليه موئلهم مع الآمالٍ  
منه، وما قنعوا بالاستبدالٍ  
شيئاً، وما فيهم فؤاد سالٍ

\* \* \*

يرتاد راحلهم وخلف ركابه  
يصحو على «الشاغور» من لبنانه  
وتهزه من «عشتروت»<sup>٤</sup> خميلة  
وتليه من وادي العرانش نسمة  
أنى استقر وحيث سار هفا به  
أين السلو؟ ولا سلو لعابر  
حلم يبببت به مع الحلالٍ  
وينام من «بردى» على السلسالٍ  
تلتف بين جداول ودوالٍ  
سكرى الضحى رفافة الأصالٍ  
همس من الجيل الأشم العالي  
فيه، فكيف بمولد وفصالٍ

<sup>٢</sup> الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها، وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع في غفران سيئة. أما الوطن

الذي لا غفران له فهو الوطن الذي لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربو عليها.

<sup>٣</sup> الصوى: القبور والحجارة التي تُتخذ دليلاً على الطريق.

<sup>٤</sup> هي قرية شتورة الحديثة فيما يقال.

\* \* \*

هذي مواطنكم وتلك قلوبكم  
ما في المدامع من شعار كنيسة  
فيمَ اختلاف مصفدين تضمهم  
أمنازعون على السماء وأرضكم  
كونوا - ولا نصح لجيل نبوة -  
من بعلبك خذوا المثال لرأيكم  
فيها لموسى والمسيح وأحمد  
وُشِجَت ° على الأهواء والأهوال  
يوم الحنين، ولا شعار هلال  
- قبل الوفاء - سلاسل الأغلال؟!  
نهب لكل منازع وموال؟!  
في العالمين هداية الأجيال  
يوم الخلاف، وتلك خير مثال  
أثر، وللوثن القديم البالي

\* \* \*

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه  
ماضٍ بأمثال التجارب حافل  
لا تلهينكم الهموم بحاضر  
إن الحقائق في الحياة تجمعت  
بيتوا على أمل وطيب تذكر  
لا يستقل القوم في آمالهم  
نعم البشير لكم بالاستقبال  
ومن التجارب حكمة الأمثال  
مر الحوادث فيه مر خيال  
ما بين سابق سيرة أو تال  
تجدوا الحوادث منكم بمنال<sup>٦</sup>  
إلا استقلوا بعد في الأفعال

\* \* \*

يا جيرة الوادي تحية أمة  
لو بيّن الوادي القديم لقالها  
إنا بنو وطن تقرب بينه  
الشمس تجمع في المطالع بيننا  
ومعالم التاريخ في كتب وفي  
وقفت تحيتها على الأبطال  
كلمات صدق من لسان الحال  
سيناء في قدسية وجلال  
والأرض في حرم الجوار الغالي  
عقب، وفي نصب، وفي أطلال

° اشتبكت.

<sup>٦</sup> الحاضر ملك لمن كان له أمل قوي في المستقبل وذكرى وثيقة للماضي.



## قوميات واجتماعيات

ولسان صدق في اللغات تألفت  
شكواكم شكواي، أو سلواكم  
ومطالب الغازين في بيدائكم  
فخذوا التأسى من مؤسى نفسه  
وخذوا التهاني من مهني نفسه

فيه القلوب تألف الأقوال  
سلواي، أو أشغالكم أشغالي  
كمطالبني، ومآلكم كمآلي  
فيما يطيف بكم من الأوجال  
بغد يطالعكم بالاستقلال

## على قبر سعد

خلا قبر سعد مثلما كان بيته  
أمرُّ به في كل يوم وربما

خلا منه حيناً ثم آواه رحبُهُ  
مررت به يوماً وفي القبر ربُّهُ

اكتفينا بما تقدم في هذا الباب، ولم ننشر فيه القصائد التي نُظمت في المناسبات  
المصرية رعاية لعهد الائتلاف.



## فكاهة

### كفاية!

إن تغض عينك من تيه فلا عجب  
أنت الذي تطلب العينان رؤيته  
إنا هنا اثنان أمسينا، وفي نظري  
عيناى ضاعفتا في حسنك النظرا  
فأغض تيهًا كما أحببت أو خفرا  
بلاغ إلفين! فاترك لي أنا السهرا

### مفاخرة

أمسيت تفخر بالشباب وتزدهي!  
فالآن أجزيك الفخار بمثله  
عشرون عامك هذه ألقى بها  
فافخر، وألقِ بها كما ألقيتها  
وظفقت تنشر ريشه وتخايلُ  
وأقول، والإنصاف ما أنا قائلُ  
طوعًا، وعندي بعدُ عمر كاملُ  
ماذا تكون؟ وأنت منها عاطلُ!

### ناسخ النور

قد نقص النور ولم ينطفئ  
فعوضوا الدار وزيدوا بها  
وراقبوا «العداد» تحصوا به  
لكن وجه الشؤم قد لاحا!  
على ثريا النور مصباحا!  
كم فاض من شؤم وكم ساحا

## حديقة حيوان آدمية

هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون، سُمِّي كل زميل من زملائها باسم حيوان يُلاحظ في اختياره اتفاق الشبه في الملامح والعادات. وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف في أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغني ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة، وهي لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان:

أورفيوس الفن سَوَّى بينها	فتلاقى الدب فيها والقروُدُ
وتغنى فرس البحر بها	يا له من فرس طلق النشيْدُ!
ومشى الأرنب والحوت لها	صاحباً القاعين من لَجٍ وبيدُ
وتآخى الجدي والضبع وما	بين هذين سوى الثأر اللدودُ
وجرى «السيسي» فيها شوطه	وهو ناهيك بيسيسي عنيدُ
ولغا «البطريق» <sup>١</sup> فيها لغوه	وهو من قطب جنوبي بعيدُ
وكأني بالزرافى <sup>٢</sup> اجتمعت	وحمير الوحش منها في صعيدُ
وأوى السنور والجرو إلى	نمر فيها، على غير الوصيد <sup>٣</sup>
والسلفاة تجاري عندها	أرنب البيداء والكلب الصيدُ
فتحت أفاصها واختلطت	لا سدود، لا قيود، ولا حدودُ
حيوانات نماها آدم	وهي من أبنائه نسل فريدُ
حيوانات ولكن بينها	كل ذي لب سماوي رشيدُ
أورفيوس الفن سوى بينها	فاستوى المنشد فيها والمعيدُ

<sup>١</sup> هو الطير المعروف في اللغات الإفرنجية بالبنجوين.

<sup>٢</sup> جمع زرافة.

<sup>٣</sup> الوصيد: العتبة، وفي البيت إشارة إلى الآية: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ زِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

## معنى طازج!

ر، أو نكهة العنب الناضج      تنشقت من فيك عطر الثما  
لأنبأت عن صدقي «الطازج»!      فلو قلت «أطعمتني» قبلة

## الحب السريع

غزل العشاق في الشعر الجديد؟      سألت: ما بالهم قد تركوا  
ريثما يُفرغ من نظم القصيد؟      قلت: هل دام غرام بينهم  
كل عشرين غراماً في نشيد!      سنرى العهد الذي يروي لنا

## زهرة القبح

زهرة القبح أسفرت تتحدى!      من رأى زهرة الجمال فهذي  
خُلقت من وجوه سبعين قرداً      طلعة الشؤم من رآها يخلها

## رثاء كلب

فإنه طاهر الكلاب!      حزناً على كلبٍ طاهرٍ  
واتفقا - شيمة الصحاب      تشابها في خليقة  
وكلبه حاضر الجواب      وربما عي طاهر  
من اكتئاب أو انتحاب      فليس يوفيه حقه  
نبح المساعير في الخراب      إلا إذا بات نابحاً  
ولا انقطاع ولا اقتضاب      عوعو، عوووو. بلا وني

٤ هو الأديب محمد طاهر الجبلوي.

\* \* \*

لا تسألوا رحمة له      قد رحم الله واستجاب  
لعله مات قانطاً      من «أزمة» الأكل والشراب  
منتحراً في شبابه      وهكذا يفعل الشباب  
أراحه الله من ضنّي      أنقذه القبر من عذاب  
فليحمد الله ربه!      من جاع فليرضّ بالترابّ

### كلب ضائع أو ديوجين الكلبى

أمست كلابك شتى      وأنت يا صاح أنتا  
كلب نجا وهو حي      وآخر فر ميتا  
ما بين تارك دنيا      وتارك لك بيتا  
قل لي بربك ماذا      على الكلاب جنيتا  
حتى «ديوجين»؟<sup>٥</sup> قل لي      يا شيخ ماذا صنعتا  
والله ما كان يابى      لو صادف الخبز بحتا  
أو جدت يوماً عليه      فصادف الأدم زيتا  
زعمته راح يهوى      من قومه الغر بنتا  
لا تلزم الحب ذنباً      من الصيام تأتى  
فاحمل رغيماً تجده      في أي صوب نظرتا  
مصباحه<sup>٦</sup> ليس يجدي      فلا تضع فيه وقتا  
أنعم به من حكيم      إلى ديوجين متا  
رأى السلامة حقا      ومن رأى الحق أفتى

<sup>٥</sup> ديوجين الكلبى: فيلسوف يونانى. وقد سُمّي الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس، ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية.

<sup>٦</sup> كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً في النهار يفتش به عن رجل فلا يجده.

## حظ بصير

إذا كان حظ الناس أعمى فإن لي  
على الغيب حظاً لا يزال بصيرا  
يظل يحاشي كل خير كأنه  
يحاذر فحاً، أو يرد مغيرا





## متفرقات

### إهداء الكتاب

نظمت هذه الأبيات في إهداء كتابي عن علي بن العباس المشهور بابن الرومي إلى جراح مصر الكبير علي إبراهيم باشا:

يا جاعل الطب فنًّا	من الفنون جميلا
ويا أمينًا حفيظًا	على الحياة وكيلا
هذي حياة أديب	للفن كان رسولا
يا رب معنى نبيل	كساه لفظًا نبيلًا
كالروح تكسوه جسمًا	غض الإهاب صقيلا
علي هذا علي	يرجو لديك قبولا

### المثاني في مشروع القرش

كن قطرة من سحاب مثمر غدق	ولا تكن ذرة من رمل صحراءِ
ولا تقل هان «قرش» أنت باذله	ما مصر؟ ما النيل؟ لولا قطرة الماءِ

\* \* \*

## وحي الأربعين

أيصول بالسيف الكمي<sup>١</sup> ونحن لا ندري الصيال بمغزل وبمنسج  
بالأمس كان عقيمهم من لم يلد وأرى العقيم اليوم من لم «ينتج»

\* \* \*

الشباب اليوم يستأدبكم درهماً فرداً فأدوه الحساب  
إن مصراً كلها في غدها هي ميراث مصون للشباب

\* \* \*

كن صانعاً أو لا فلست بصانع شيئاً ولست بدافع من يعتدي  
وابذل زهيدك للصناعة تجتمع لبني بلادك ثروة لم تزهد

\* \* \*

أوجه ذي الوجهين في الوجود قرش عديد من أب وحيد  
قوته للوطن المعمود أقوى من العدة والعديد

\* \* \*

أرى القرش أصبح ذا قيمة وإن صغروه وإن حقرّوه  
يتيه بوجهين من حسنه وتأتي منافعه من وجوه

## الشهرة العوراء

دع الشهرة العوراء تقناد غافلاً على حكمها يجري، وإن طاش أو ظلم  
إذا الدهر لم يعرف لذي الحق حقه فللدهر مني موطئ النعل والقدم  
إذا جاز بيع الذكر في شرع أمة فلا كان من ذكر ولا كانت الأمم

<sup>١</sup> الكمي: لابس السلاح أو الشجاع.

## عتاب وطن

جوزيت من وطن بيكي الوفي به  
لقد شقيت على كره وموجدة<sup>٢</sup>  
وما بكى خائن فيه وإن جارا  
وهان ذلك لو لم تشق مختارا

## نعي كاذب

لقد كذب الناعي وأنعم بكذبه  
فزعت الخطب الموت، والموت واحد  
فلا صدق الناعون يومًا، ولا همومًا  
فكيف احتمالي فيك موتين يا أمُّ

## إلى الصديق الراحل

نظمت في رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعي» يوم وفاته:

غاية الحي ساعة من زمانه  
طُويْتُ صفحة السباعي فينا  
ينتهي عندها مدى جثمانه  
وهو طاوي الطروس في تبيانته  
مسمح النفس في الردى قبل أنه  
من صراع الحياة لهو رهانته<sup>٣</sup>  
من جني دهره ومن إنسانه  
ضاحكًا من كرامه وهجانه  
ر فأودى بقلبه في افتنانه  
فتنته غواية الأدب الحر

<sup>٢</sup> الموجدة: الغيظ والألم. والمعنى: إن الشقاء الذي يصيب الوطن كرهاً وقسراً قد يهون في جانب الشقاء الذي يجنيه الوطن على نفسه.

<sup>٣</sup> كان الفقيديلهو بالرياضة البدنية كثيراً، وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد في سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه.

وثنى راحتيه عن خفض عيش  
ما أراه على الحياة حزيناً  
يا سليم الفؤاد في باطن الرأ  
مرض الدهر فامض عنه معافى  
أنت خدن الكتاب، والموت سفر  
كان حيناً أقصى مُنى أقرانه<sup>٤</sup>  
بعض حزن الصحاب يوم احتجانه<sup>٥</sup>  
ي سليم الفؤاد في إعلانه  
من أكاذيبه ومن أدرايه  
صدقه ظاهر على عنوانه

### على قبر حافظ يوم وفاته

أبكاء وحافظ في مكان؟  
كنت أنساً، فكيف أمسيت يا حا  
كنت تتلو الرثاء معنى فمعنى،  
كنت أعلى الجموع صوتاً فهلا  
وعزيز على بلادك أن تذ  
يوم أطلقت من إسارك حرّاً  
يوم أرسلتها على ظالمي الأو  
أهم الله مصر فيك عزاءً  
كلنا صائر كما صرت يوماً  
تلك إحدى طوارق الحدثان  
فظ تدمى لذكرك العينان  
كيف أمسيت بعض تلك المعاني!  
نطق الآن صوت ذاك البيان  
هب يوم انبريت للميدان  
وأبيت الإسار للأوطان  
طان طعانة كحد السنان  
لا بل العرب في شفيع «اللسان»  
والذي قد صنعت ليس بفان

### على ضريح سعد يوم الخروج من السجن

إلى الذاهب الباقي زهاب مجدّد  
إلى مرجع الأحرار في الشرق كله  
وعند ثرى سعد مثاب ومسجد  
إلى قبلة فيها الإمام موسد

<sup>٤</sup> كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما في الجيل الماضي. ولكن السباعي رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب.  
<sup>٥</sup> احتج الشبيء: جذبه بالمحجن، أو ضمّه واحتواه.

نحيي من الدنيا التي نستعيدها  
 مكاناً من الدنيا يخلو قفرها  
 خرجت له أسعى وفي كل خطوة  
 لأول من فك الخطى من قيودها  
 بواكير من حرية أستزيدها  
 وأعظم بها حرية زيدَ قَدْرُها  
 عرفت لها الحبين في النفس والحمى  
 وكنت جنين السجن تسعة أشهر  
 ففي كل يوم يُولد المرء ذو الحجى  
 وما أقعدت لي ظلمة السجن عزمة  
 وما غيبتني ظلمة السجن عن سني  
 عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما  
 مكاناً من الدنيا له العود أحمدُ  
 وقد قل في أمصارها ما يُخلدُ  
 دعاء يؤدَّى أو ولاء يؤكِّدُ  
 أوائل خطوي يوم لا يتقيدُ  
 لديه، وقد يرعى البواكير معبداً<sup>٦</sup>  
 لدن فُقدت، أو قيل في السجن تُفقدُ  
 وكان لها حب — وإن جل — مفردُ  
 فهأنذا في ساحة الخلد أُولدُ  
 وفي كل يوم ذو الجهالة يُلحدُ  
 فما كل ليل حين يغشاك مرقدُ  
 من الرأي يتلو فرقداً منه فرقداً<sup>٧</sup>  
 سيعهدني كل كما كان يُعهدُ

## وحي الأربعين

سميت هذا الجزء «بوحي الأربعين»؛ لأن أكثره نُظِمَ حوالي سن الأربعين، وقد كنت جمعت الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان، ولاحظت في تسميتها أن يقابل كل جزء منها السن التي نُظِمَ فيها، فبدأت فيها بيقظة الصباح وانتهيت بأشجان الليل، وفي تسمية هذا الجزء «بوحي الأربعين» متابعة للسنة التي جريت عليها حين جمعت تلك الأجزاء.

<sup>٦</sup> إشارة إلى عادة الأقدمين حين كانوا يضعون بواكير الثمار والحبوب في المعابد؛ تيمناً واستزادة من الخير والنماء.

<sup>٧</sup> نجم قريب من القطب يُهتدى به.

